ملحمة عمر

شطا وارمانوسة

علي احمد باكثير

دار البيان
الكويت

ملحمة عمر - ١٥

باكثير

ملحمة عمر

١ - على أسوار دمشق
٢ - معركة الجسر
٣ - كسرى وقيصر
٤ - أبطال اليرموك
٥ - تراب من أرض فارس
٦ - رستم
٧ - أبطال القادسية
٨ - مقاليد بيت المقدس
٩ - صلاة في الايوان
١٠ - مكيدة من هرقل
١١ - عمر وخالد
١٢ - سر المقوقس
١٣ - عام الرمادة
١٤ - حديث الهرمزان
١٥ - شطا وارمانوسة
١٦ - الولاة والرعية
١٧ - القوي الأمين
١٨ - غروب الشمس

الناشر: دار البيان. ص.ب ٢٠١٧ - الكويت

٣٥٠ فلس كويتي

ملحمة عمر

شطا وادمانوسة

على احمد باكثير

دار البيان
الكويت

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الناشر
دار البيان
ص.ب: ٢٠١٧ - برقيا: تبين
الكويت

الطبعة الأولى
١٣٩٠ هـ — ١٩٧٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المشهد الأول

خيمة عمروبن العاص في المعكسر الاسلامي
الذي يحاصر الاسكندرية من الشرق بين
الحلوة وقصر فاروس
يُرى عمرو حزيناً وعنده رومانوس

رومانوس : معذرة يا أمير الجيش . ماذا حجَبَك اليوم عن الناس ؟

عمرو : ضِقْتُ بهم ذَرْعاً يا أبا الروم فأردت ان اخلُوَ الى نفسي .

رومانوس : بلغني أن بك وعكةً ؟

عمرو : وعكةُ النفس يا أبا الروم لا وعكةُ الجسم .

رومانوس : من جرّاء كتابِ أمير المؤمنين الذي وَرَدَ اليك اليوم ؟

عمرو : ومن هؤلاء الذين عندنا من اصحابه .

رومانوس : لانهم صدّقُوا ما في كتاب أمير المؤمنين ؟

عمرو : أجل انهم يرَوْن ابعدَ ممّا تحت أنُوفُهم وان أميرَ المؤمنين ليقولُ عنهم مع ذلك ان احدَهم يَعْدِل الفَ رجل !

رومانوس : في الصبر والنية والايمان .

عمرو : الحرب تحتاج الى أكثر من ذلك .

رومانوس : فليقُمْ غيرهُم باكمال ذلك .

عمرو : هذا ما كان ينبغي ان يكونَ فهل كان ؟ انهم ما كادُوا يسمعون ما كتبهَ امير المؤمنين حتى صدقوا ما جاء فيه وكذّبُوا ما تراه اعينُهم وجعل بعضُهم يقول لبعض : ان امير المؤمنين لعَلَى حقٍّ فوالله ما كانت تمنعُنا الحصونُ ولا الاسوار ولاالبحار ، كانما لم يَرَوا مناعةَ المدينة وهذه البُحَيْرةَ من جنوبها والبحرُ من شمالها ، والترعةَ من

جنوبها ، والاسوارَ عليها الحصونُ فوق الحصون من الشرق ؛ وكانّما لم نحاولْ مهاجمتَها اول مَقْدَمِنا فامطرَتْنا مجانيقُهم وابلاً من حجارتها الضَّخْمة .

رومانوس : انما دفعتْهم الحماسةُ الى ذلك فاعذُرْهم ولا تلُمْهم .

عمرو : لو كنتُ لائماً احداً لَلُمت امير المؤمنين. فهذا ثالثُ كتابٍ منه يستبطِيءُ فتحَ الاسكندرية . اليس يتركُنا وشانَنا فاننا نرى ما لا يَرَى ونشْهَدُ ما لا يشهد .

رومانوس : لعلك يا أباعبدالله لم تصِفْ له جَلِيَّةَ الامر كما ينبغي .

عمرو : بلى قد بيّنت له كلَّ شيء ولكنه ظل على زَعْمه اننا ماابْطأْنا بفتحها الا لِما أحدَثْنا. لقد ظن اننا أخْلَدْنا الى النِّعمة واحبَبْنا من الدنيا ماأحبَّ عدوُّنا لاني ذكرتُ له ذاتَ يوم ما نحن عليه في مُقَامِنا هذا من

حُسْنِ الحال .

رومانوس : يا ليتَك لم تذكرْ له ذلك .

عمرو : ليبْلُغَنَّه ذلك من غيري فوَيْلٌ لي اذن منه .

رومانوس : لا تنْسَ يا اميرَ الجيش انك انت الذي كنْتَ تُهَوِّن عليه فتْحَ مصر .

عمرو : فالحمد لله اذْ يَسَّر لنا من ذلك فوقَ ما كنا نطمعُ فيه . ألم نَهزمْ الروم في كل معركة واَجهْناهم فيها ؟ وغلبْناهُم على بابليون وكسرناهم في نقيوس وكريون ثم وقفنا امام عاصِمتهم نرْصُدُها عليهم ونتحَدّاهم ان يخرجُوا لقتالِنا فلا يجْرُؤُون؟ فماذا يُريد اميرُ المؤمنين منا اكثرَ من ذلك ؟

رومانوس : يريد نِيةً اقوى وايماناً اَشدّ .

عمرو : وهل من سبيلٍ الى ذلك يا أبا الروم ؟

رومانوس : والله ان امْرَ الايمان لعجيبٌ ولا أرَاني

أستطيع ان ازيدَك به علما . فدَعْ اميرَ المؤمنين يطالبُنا باكثرَ مما نَظُن انه في مَقْدُورنا فقد رأى من آياتِ اللهِ في تأْييد المسلمين منذُ صاحَ فيهم محمدٌ صيحتَه الأولى ما لو طالَبَنا بأن ننقُل الجبالَ من اماكِنِها لما كان ذلك بِدعاً منه .

عمرو : يغفرُ اللهُ لك يا أبا الروم . ماذا أبقَيْت لعُبادَةبن الصّامِت والمِقْدَاد ومَسْلَمة ابن مُخَلَّد ؟ لقد صرتَ كأنك واحدٌ منهم .

رومانوس : هَيْهات يا ابا عبدالله ولكني رأيتُ من هذا الرجل امراً عجباً . كان يجد خالدَ بن الوليد مُنْدفِعاً منْصلِتاً انصِلاتَ السيف فيحاول ان يُنَهْنِهَهُ حتى قلنا الاَ يريد اميرُ المؤمنين ان يفتحَ الله البلادَ للمسلمين ؟ وأراه اليوم يحرِّضُك على المناجزَة والمسارعة اذْ وجدك مَكِيثاً حتى اقولَ في

نفسي : ماذا يريد اميرُ المؤمنين ؟ أيريد ان يفتحَ الدنيا في يوم وليلة ؟

عمرو : والله لقد ضاق صدْري من الحَاحِهِ علَيّ في أمر ليس عنده فيه برهانٌ . والله لقد همَمْتُ اليوم ان اغامرَ بارواح المسلمين وألقي بهم الى الهَلَكة .

رومانوس : كلا يا عمرو بن العاص ليس مثلُك مَن يصْنع ذلك .

عمرو : لِمَ لا ؟ حتى يرى اميرُ المؤمنين ان الدنيا لم تفتنّا كما زعم !

وردان : (صوته من الخارج) أبا عبدالله . ابا عبدالله .

عمرو : ما خطبك يا وردان ؟

وردان : (يدخل) انظر ! ثلاثة فرسان من الروم يتجوّلونَ أمام الاسْوار .

(يبرز عمرو ورومانوس الى فناء الخيمة حيث يتطلّعان الى جِهَة الغَرْب ويدخل

عبادة ومسلمة بن مخلّد وعبدالله بن عمرو)

رومانوس : انهم يُشِيرون بايديهم يريدون المبارزَةَ

عمرو : انا خارج لأحدِ الثلاثة فمَنْ يخرجُ معي !

رومانوس : كلا لاتخرج أنت ياأمير الجيش. نحن نكْفيك.

عبادة : أجل يا أبا عبدالله . نحن نكفيك .

عمرو : ذاك الذي يتقدّمُهم لا شك أنه من أبْطَالهم.

رومانوس : أجل .. هذا من أبطالهم .

مسلمة : أنا له يا أبا عبد الله .

عمرو : أنت يا مسلمة ؟

مسلمة : سأكفيكموه باذن الله .

عمرو : ألا تتركُه للمقداد أو لعبادة بن الصامت ؟

مسلمة : ويحك يا عمرو ، أتكره لي أن أقتُلَ هذا العلْجَ ، أم تكره لي الشهادَةَ ؟

عمرو : لا أكره لك هذه ولا تلك ولكني أريد أن تكون الضرْبَةُ الأولى للمسلمين .

مسلمة : فانا صاحبُها ان شاء الله .

عمرو : فاخْرجْ له إن شئت .

(يخرج مسلمـــة منطلقاً ويسمع انطلاق جواده) .

عبادة : وأنا والمقداد للآخرين .

عمرو : كلا . مكانك يا ابن الصامت . أخرج أنت يا عبد الله بن عمرو وانت يا عبد الله ابن سعد فليكْفِ كلّ منكما قِرْنَه .

ابن عمرو : (يخرج منطلقاً) هلم يا عبد الله بن سعد !

(يسمع صوت انطلاق جواديهما)

وردان : ذلك مسلمة بن مخلّد قد بلغ الى صاحبه .

عبادة : اللهم سَلّطْ المسلمين على المشركين .

عمرو : اليس هذا بِطْرِيقاً منهم يا أبا الروم ؟

رومانوس : بلى .. عليه شارَةُ البطريق .

وردان : انهما يتصاوَلان ويتجاولان !

عبادة : وقع أحدُهما صَريعاً !

وردان : مسلمة !

عمرو : لاحول ولا قوة إلا بالله . أكبَّ عليه قِرْنَه ليُجْهِزَ عليه .

وردان : اعترَضه عبدالله بن عمرو وذبّه عنه. مرحى يا عبد الله بن عمرو !

عبادة : الحمد لله نهض مسلمة من كبْوَتِه !

عمرو : ليتَه ما نهض !

وردان : وي! هرب الفرسانُ الروم صوْب حصونهم! (كأنه يصيح بفرسان المسلمين الثلاثـــة) عليكم بهم يا فرسانَ الله! ادركُوهم! أدركوهم وي ! دخلوا بابهم فاغْلِق عليهم . واأسفاه! وا أسفاه !

(تتعالى صيحاتُ الهتاف والفرح من الروم من فوق الأسوار) .

عمرو : ماذا يقولون يا أبا الروم ؟

رومانوس : يرددون هتاف الانتصار .

عبادة : تبّاً لهم . الفِرَارُ عندهم انتصار ؟

عمرو : بل اكتفُوا بالجَوْلة الأولى وقد كانت لهم ؟

وردان : هذا مسلمة قد أقبل .

عمرو : لا أقبل الله به .

(يدخل مسلمة وعبد الله بن سعد)

ابن سعد : قاتَلَهم الله . لم يشاؤُا أن يثْبتُوا لنا .

مسلمة : فَرُّوا كالأنعام .

عمرو : لما انكَفَأ أحدُكم على وجهه اعتبرُوا الجولةَ لهم علينا فرجعوا الى حصونهم ظافرين .

مسلمة : انها مقادير يا عمرو . زَلِقَتْ فرسي .

عمرو : مقادير ! زلقت فرسي !

مسلمة : لعل الله أراد أن يؤدّبني اذ خالفْتُك وأنت أميري .

عمرو : ما ينبغي للرجل الذي يُشْبِه النساءَ ان

يتعرض مداخِلَ الرجال ويتشبه بهم .

مسلمة : غفر الله لك يا أبا عبد الله . لقد اعتَرَضْت على الله الذي خلقَني وعلى أمير المؤمنين الذي اختارَني .

عمرو : ما حيلتي وقد جلَّلْتَنا خِزْياً وتركت العلُوجَ تُوسِعنا هزُؤاً وسُخرية !

مسلمة : والكاظِمين الغيظَ والعافين عن الناس (يخرج) .

عبادة : لا حقّ لك يا ابنَ العاص ان تُؤْذِيَ مسلمة . والله ان عشْرَةً من أمثال ذلك العلجِ لا يثْبُتون لمسلمة ولكنها المقاديرُ . ألا تؤمن بالمقادير يا عمرو !

عمرو : بلى يا ابن الصامت ولكني لا أُلْقي عليها تبعةَ أعمالنا . لقد نبَّهْته فخالف رأيي فجعل للروم علينا سبيلاً .

عبادة : لا تبتئس يا أبا عبد الله . لقد تعاهدْتُ مع

جماعة من المسلمين لئن فتحوا بابهم لمبارزة او لمغامرة لنقتحمنّ عليهم الباب .

عمرو : يا صاحب رسول الله انه ليس بابا واحداً بل دونه ابواب

عبادة : لنقتحمنها باذن الله جميعاً بابا بعد باب . فهل تأذنُ لنا امير الجيش !

عمرو : لأكوننّ اولَ من يقتحم .

عبادة : كلا لا ينبغي ان تشذّ عن الناس وانت امير . نحن نكفيك ذلك (يخرج)

عمرو : كلا والله لأكونن أول من يَقْتحم .

رومانوس : ما خطبك يا ابا عبدالله ! انك لستَ اليوم على عادتك .

عمرو : ما حيلتي ! ماذا اصنع ! لقد والله ضاقت نفسي . (يدخل عبدالله بن عمرو)

ابن عمرو : ما كلامٌ بلغني انك قلته لِمَسْلمة بن مُخلّد ! اسفاهةً يا ابت كسفاهةِ الجاهلية وقد

أكرمك الله بالاسلام وجعلكَ اميراً على صحابة رسول الله ﷺ !

عمرو : انت ايضاً ! لا تدخل يا بني فيما لا يُعْنيك .

ابن عمرو : قد جعلك الله ابي فكيف لا يعنيني امرك !

عمرو : ويلك اكنتَ تبغي لك اباً خيراً مني !

ابن عمرو : وَددْتُ والله لو ان لي اباً لا يَزِلّ لسانه في صحابة رسول الله بالقبيح .

عمرو : ويلك أكل هذا من اجل كلمة قلتُها في ساعة غَضَب !

ابن عمرو : تذكّر يا ابي انك اميرُ هذا الجيش !

عمرو : فقدْ عصاني ذلك الكثيرُ اللحم ، فكان ما اشْفَقت منه .

ابن عمرو : يا لله أين عَزْبُ حِلمُك ! انه ما عصاك ولكن بذلَ نفسه . أفتلومُه على ان بذلَ نفسه !

عمرو : اليك عني الآن . دعْني

ابن عمرو : كلا لا ادعُك حتى تعترفَ لي انك ما كنت في كَمَال وَعيْك .

عمرو : أي والله يا بُنَيّ ان كتابَ امير المؤمنين اليوم قد افْقَدَني حِلْمي واخرجني من طَوْرِي .

***

المشهد الثاني

نفس المنظر كما في المشهد الأول

يرى عمرو بن العاص وعنده رومانوس وعبادة ابن الصامت وابن حُذافة وعبدالله بن عمرو ووردان .

عمرو : آه . مَنْ يخبرني ماذا فعلوا بمَسْلمة !

رومانوس : ما احسَبُهم إلا مُرسِليه الينا عمّا قريب .

عمرو : أخشى ان يكونُوا غَدَرُوا به .

رومانوس : اني لا أبرّىءُ هؤلاء الرومَ من الغدر ولكن قد يمنعُهم من ذلك أن المُفَاداةَ به خيرٌ لهم من قَتْله .

وردان : لا سيّما وقد ابْقَى مسلمةُ على الذي بارَزَه منهم اذ تمكن من قتلِه فلم يشأْ ان يقتلَه .

عمرو : ذلك احرَى ان يُهيّجَ حقدَ ذلك الرومي عليه .

رومانوس : لا يستطيعُ ذلك الرومي أن يقتله الا باذن رؤسائه وهؤلاء لن يأذنوا له بذلك .

عمرو : والله اني بعدُ لمشفقٌ على مسلمة .

عبادة : هوِّن عليك يا عمرو فما مسلمة بمن يجزَعُ من الشهادة ان ساقها اللهُ اليه .

عمرو : صدقْت ولكنهم كانوا يطلبونني فآثَرَ هو أن يَفْدِيَني بنفسه اذ اوهَمَهم انه هو الاميرُ .

ابن حذافة : يا أبا عبدالله كلٌّ منا كان مستعداً أن يقوم بما قام به مسلمة .

عمرو : ولكن لمسلمةُ عندي شأناً آخر .

ابن عمرو : من أجل انك شتمته يوم زُلقتْ فَرَسُه ؟

عمرو : أجل يا بني لشتان ما بين صنيعي وصنيعه .

ابن عمرو : اليوم ادركْتَ ذلك ؟

عمرو : نعم . ما افحشْتُ قط في حياتي الا ثلاث مرات مرتين في الجاهلية . وهذه الثالثة وما منهن مرة إلا وقد ندِمْت . وما استحْيَيْت من واحدة أشدَّ من هذه التي زَلَّ بها لساني في ابن مخلّد .

(تسمع جلبة من الخارج)

صوت : ويلكم ألا تعرفونني ؟ أنا أبو رافع .

عمرو : (يصيح) دَعُوه يا قوم . هلم يا أبا رافع !

(يدخل أبو رافع وهو في زي القبط)

أبو رافع : ما اسرَعَ ما نسيني رجالُك . لقد أرادوا أن يمنعُوني .

عمرو : كلا ما نسُوك يا أبا رافع . ولكنهم خافُوا أن يكون أحدُ العدو قد تمثَّلَ بك .

أبو رافع : ولكنكَ عرفْتَني .

عمرو : من صَوْتِك . أهلاً بك يا أبا رافع . كيف أنت ؟

أبو رافع : بخيرٍ والحمدُ لله .

عمرو : جئْتَ وحدك ؟

أبو رافع : نعم .

عمرو : وأين تركت صاحبَك ؟

أبو رافع : اتَعْني ...

عمرو : شطا . لا تخفْ فليس بيننا غريبٌ .

أبو رافع : تركتهُ داخل مدينة الاسكندرية وهو الذي أرسَلَني إليك .

عمرو : استطاع أن يصنعَ لنا شيئاً ؟

أبو رافع : نعم .. اسْتَمال قلوبَ القبط الموجودين في المدينة .

عمرو : هذا حسنٌ والأبواب ؟

أبو رافع : اتَّصَل ببعض القائمين عليها فوعدُوه خيراً .

عمرو : فهل اتّفق منهم على مَوْعد مُسَمّى ؟

أبو رافع : لا يا أبا عبدالله .

عمرو : ماذا منعَه من ذلك . ماذا ينتظرُ ؟

أبو رافع : انه لا يرى أن نُخاطِرَ بارْوَاح جنودنا في هذا المَرْكَب الوَعْر .

عمرو : ويلك يا أبا رافع هلاّ افهمْتَه اننا نقاتل في سبيل الله وأننا لا نخافُ الموتَ ؟ هلا أفهمته أننا لا نستطيعُ أن نَبْقَى خارجَ أسْوَار الاسكندرية الى الأبَدِ ؟.

أبو رافع : رُوَيْدك يا أبا عبدالله حتى أُتِمَّ كلامي. لقد جاءه كتابٌ من خاله المُقَوقس انه قادِمٌ الى مصرَ عمّا قريب فهو يَرَى أن ننتظرَ قُدومَ المقوقس لعلّه يتفقُ معنا على خُطّةٍ افضلَ من اقْتِحام أبواب المدينة .

عمرو : ان هذا والله لنبأٌ سارٌّ فالمقوقس لنا صديقٌ

أمين . ولكنّ أميرَ المؤمنين قد استبْطأَ فتْحَنَا للاسكندرية ولاَ مَنَافي ذلك أشدَّ اللَّوم فماذا نقولُ له اليوم ؟ أنقول له أننا ننتظرُ حتى يعودَ المقوقسُ من أرض الروم ؟

رومانوس : لا حاجةَ يا أبا عبدالله أن تذكُرَ ذلك لأمير المؤمنين .

أبو رافع : أجل لا تذكرُ له شيئاً عن المقوقس حتى يَتمَّ قُدُومُه ونَري موقِفَه منك .

عمرو : فبأيِّ شيء نعتذِرُ لامير المؤمنين إن تأخرنا بُعدُ عن اقْتِحام أسوارِ الإسكندرية ؟

أبو رافع : بيّن لأمير المؤمنين ما هي عليه من المَنعَة وان اقتحامَها ليس من الرأي .

عمرو : ويحك بيّنْتُ له ذلك غيرَ مرة فلم يشأ أن يصدّقَني وان بيننا لطائفةً يَرْون رأيَه وهم يشْهَدون ما نشْهَد .

عبادة : لعلك تَعْنِينا أنا وأصحابي يا عمرو .

عمرو : أجل . أياكم اعْنِي !

عبادة : غفر اللهُ لك يا ابن العاص . لئن كنا نَرَى رأي أمير المؤمنين في استِبْطاء فتح هذه المدينة ان ذلك لا يُسقِطُ عنا طاعَتَك فأنت أميرُنا ونحن جنودُك فمَهْما تأمرْنا نصْدَعْ بأمرك .

عمرو : بُورِكتَ يا صاحب رسول الله .

عبادة : بَيْد انه ليس لك يا ابن العاص ان تَضِيقَ ذَرْعاً بكتاب امير المؤمنين ونُصْحِه وارْشَادِه فتأتيَ أموراً أنت عليها أولُ النادمين .

عمرو : ما بَرِحْتم تلُومُونني على اقتحام باب المدينة ذلك اليوم .

عبادة : أجل . ما كان لأميرِ جيشِ المسلمين أن يُخَاطِرَ بنفسه في غير طائلٍ أو فيما

يستطيع غيرُه أن يكْفِيَه .

عمرو : صدقت يا عبادة والله إني لنادمٌ وان الندمَ لفالقٌ كَبِدي ان لم يعد إلينا مسلمةُ ابن مخلّد .

أبو رافع : سيعود مسلمة إلينا بإذن الله .

الجميع : إن شاء الله .

أبو رافع : أَئْذَنْ لي يا أبا عبد الله لأرَى أهلي ثم أعودُ إليك .

عمرو : أجل إنطلِقْ يا أبا رافع إلى أهلك .

(يخرج أبو رافع) .

عبادة : ويح أبا رافع . لقد عَزُبَ عنا انه قَدِم بعد غِيَابٍ طويل .

عمرو : أجل حتى ذَكّرنا هو بنفسه .

(يدخل يونس) .

عمرو : ماذا وراءك يا يونس ؟

يونس : رسولٌ من عند الروم يريد لقاءَكَ أيها الأمير .

عمرو : دعه يدخل .

يونس : (يدنو من عمرو) بربّك أيها الأميرُ سَلْهُ عن ارمانوسة .

عمرو : ويحك مَنْ يكون ؟ شطا ؟

يونس : نعم .

عمرو : أين هو ؟ دعه يدخل .

(يخرج يونس ثم يدخل ومعه شطا) .

شطا : تحية لك أيها الأميرُ . أنا رسولٌ من الروم إليك .

عمرو : مرحباً بك يا ابن الهاموك . لعلهم أرسلُوك في شانِ مَسْلمة ؟

شطا : نعم . ان اطلَقْت لهم جميعَ مَنْ عندك من الاسرى اطلَقُوه لك .

عبادة : ما هذا؟أما بَرِحُوا يظنون انّه هو الأميرُ ؟

شطا : كلا قد تبيّن لهم انه ليس هو الأمير ولكنهم لا يشكّون انه من كبار رجالكم وأبطالكم .

عمرو : كم عندنا من الاسرى يا وردان ؟

وردان : خمسة عشر أسيراً .

عمرو : والله لو كانوا مائة لأطلقتهم من أجل مسلمة .

شطا : بُوركت أيها الأمير ان عملك هذا سيضاعف ثقة القوم بي وينفي عني كلّ ريبة .

أصوات : (من الخارج) رسولُ أمير المؤمنين ! رسولُ أمير المؤمنين !

(ينهض وردان ويخرج) .

(يهمّ شطا بالخروج فيستوقفه عمروٌ) .

عمرو : مكانك يا شطا . أنت منّا .

(يعود وردان ومعه محمدُ بن مسلمة وعبد الله بن عمر) .

ابن مسلمة : السلام عليكم .

عمرو : وعليكما السلام ورحمة الله . مرحباً بمحمد ابن مسلمة . مرحباً بعبد الله بن عمر . كيف أمير المؤمنين وأهل المدينة ؟ .

ابن عمر : هم جميعاً بخير .

عمرو : انك أبطأتَ علينا يا ابن مسلمة .

ابن مسلمة : وجدتُ أميرَ المؤمنين مشغولاً بالهرمزان .

عمرو : الهرمزان صاحب الاهواز ؟

ابن مسلمة : نعم .

عمرو : ما بالهُ ؟

ابن مسلمة : قدِمَ إلى المدينة وأسلم .

عبادة : الله أكبر .

ابن عمرو : الله أكبر .

رومانوس : الله أكبر .

عمرو : عهدي بأمير المؤمنين لا يشغله شيء

عن شيء .

ابن مسلمة : أجل ولكنه استبقاني أياماً عنده لا أكادُ افارِقُه . يسألني الفينة بعد الفينة عن أحوالكم وعن هذه المدينة التي استَعْصَتْ عليكم حتى امْلَى علينا هذا الكتاب

(يناوله رسالة)

(يفضّ عمرو الرسالةَ وينظر فيها بامْعَانٍ)

عبادة : خير إن شاء الله .

عمرو : خير والله وبركة . لله در ابن حَنتمة أيُّ رجلٍ هو !

عبادة : ماذا كتب يا عمرو ؟

عمرو : والله يا قوم أن أمير المؤمنين وهو غائب عنا ليدركُ من أمرنا وامرِ هؤلاء الروم وأمر هذه المدينة ما لا نُدْرِكُ نحن ونحن شهودٌ .

عبادة : أتْلُ علينا الكتابَ . لقد زدْتَنا شوقاً اليه.

عمرو : (يتلو الرسالة)

من عبدالله عمرَ أمير المؤمنين الى عمروٍ ابن العاص أميرِ جيش مصر . سلام عليك وعلى من معك . أما بعد. فتَدَبّرْ ما اقولُ لكَ . اتركْ على حصارِ ثَغْرِ الاسكندرية طائفةً من جندك عليها عُبَادةُ ابن الصامت ومسلمةُ بن مخلّد ، وسِرْ بالباقين فافتح بهم الثّغُورَ الأخرى والمدُنَ التي تتحكّم في الأنهار . فاذا فعلتَ ذلك رجوتُ ان تُسَلِّم لكم الاسكندريةُ غير بعيد . فلَعَمْري لا يفلح ثَغْرٌ يُعْزَل من الأرض التي هو فيها فلا يعيشُ اهلُه الا على الرزق الذي يَرِد اليه من قبل البحر . ان لم يكنْ لكم سلطانٌ على البحر . فليكن لكم سلطانٌ على البر والسلام .

المشهد الثالث

حجرة في بيت الهاموك بدمياط

هيلانة : لا يعقل يا ولدي ان أَباك ...

شطا : أنا سمعتُه يا أمي باذُنَيّ هاتيْن .

هيلانة : لعله أراد ان يجامل أبا طَوْر هذا حتى لا يَشِي به عند أولي الأمر في القُسْطنطينية.

شطا : وما شأنُ القسطنطينية بنا اليوم ؟ لم يَبْق لها علينا أيُّ سلطان .

هيلانة : أنا لا أفهم كثيراً في السياسة ولكنّ اباك دائماً يُحِبّ الحيطة .

شطا : يحتاط من ناحية الروم وهم بَعيدٌ ولا يحتاطُ من ناحية العرب وهو بين أيديهم ؟

هيلانة : هو يا ولدي مُطْمئِنٌ من ناحية العرب.

شطا : لمكان خالي المقوقس؟

هيلانة : نعم .

شطا : استغلال دنيءٌ !

هيلانة : دَنِيء ؟!

شطا : يعتمدُ على جاه خالي عند العرب، ثم يطعنُه من الخلف

هيلانة : ابوك يطعَنُ خالك ؟

شطا : نعم . بتواطُئِه مع هذا الخائن أبي طَوْر

هيلانة : ارمانوسة يا بنتي أتصدقين مثل هذا الكلام ؟

ارمانوسة : كم أود يا خالة إلا اصدِّقَه .

(يدخل الهاموك بغتة)

الهاموك : تُرَى عن أي شَيْءٍ تتحدّثُون ؟

هيلانة : لا شيء يا عزيزي لا شيء .

شطا : كلا يا أُمي. يجب أن تُصارِحيه بكل شيء.

هيلانة : ليس الآن . يا ولدي .. ليس الآن .

شطا : بل الآن .

الهاموك : ها .. لعلهما يُريدان التعجيلَ بالزواج ؟

هيلانة : أجل يا زوجي الحبيب . لقد طارا طويلاً وآن لهما أن يستقِرّا في عُشٍّ .

الهاموك : لكن السماءَ ما زالت مُلَبَّدَةً بالغُيوم . الا ينتظران قليلاً حتى تنقشِع هذه السُّحب.

شطا : إن السُّحبَ التي تعنيها يا أبي لن تنقشع أبداً.

الهاموك : بلى يا ولدي . عما قريبٍ ستنقشعُ .

شطا : أوقد صدّقتَ أبا طور فيما زعم لك ؟

الهاموك : أبو طور ؟ وما شأنُ أبي طور في ذلك ؟

شطا : يا أبي أني ابنُك وما ينبغي أن تُخفِي عني شيئاً .

الهاموك : أنا لا أخفي عليك شيئاً . ماذا تريد أن تعرف ؟

شطا : ماذا جاء بابي طور هذا اليك ؟

الهاموك : لا شيء .. زيارةٌ قام بها لصديق قديم

شطا : في أي شيء حادَثَك ؟

الهاموك : سؤالٌ غريبٌ . في شؤونٍ شتّى من شؤوننا الخاصة .

شطا : هانتذا قد اخفَيْت عني .

الهاموك : شطا .. قل لي بحياة المسيح ماذا تريد ؟

شطا : يَعِزُّ عليّ يا ابي أن أراك تلعبُ بالنارِ

الهاموك : ألعب بالنار ؟

شطا : مع هذا الأفّاق الذي كان عندك . إني قد سمعت ما دار بينك وبينه

الهاموك : ويلك أكنت تتجسّسُ عليّ ؟

شطا : أنا لم اتجسسْ عليك بل على أبي طور .

الهاموك : أبو طور كان في خلوة معي في بيتي فالتجسّس عليه تجسُسٌ عليّ .

شطا : يشفع لي في ذلك انني اردت انقاذك .

الهاموك : انقاذي ؟

شطا : من الخيانة .

الهاموك : أيّ خيانة ؟

شطا : قلت لك يا أبي اني سمعت كلّ ما دار بينك وبينه .

الهاموك : هل لي يا بُنَي أن أكلمك على انفراد لأوضّح لك ما التبَسَ عليك ؟

(يهم بالخروج) .

هيلانة : بل نحن نخرج .. هلُمّ يا ارمانوُسة .

شطا : مُرْهُمَا بالبقاء . يا أبي حتى تُوَضّح لهما ما التبَسَ عليهما أيضاً .

الهاموك : فيما بعد . فيما بعد .

(تخرج هيلانة وارمانوسة) .

الهاموك : سمعتَ حقاً ما دار بيني وبين أبي طور ؟

شطا : نعم .

الهاموك : ما تقول إذن في تلك القَسْوة التي أنزلَها العرب بأهل اخنا وسلطيس وبلهيب ؟

شطا : لقد استحقُّوا ما أصابهم . من قال لهم اغدُرُوا وانقُضُوا عهْدَ الصلح ؟

الهاموك : هذا العهدُ كان مفروضاً عليهم بالقوة .

شطا : ان القائدَ العربي لم يفرِضْه على أحد .

الهاموك : خالُك المقوقسُ هو الذي فرضَه عقب عوْدته من القسطنطينية .

شطا : بالاقناعِ والمنطقِ .

الهاموك : بل بالقُوّة .

شطا : القوة كانت في أيديهم هم .

الهاموك : بل كانت في يده . قوّةٌ أمْضَى من قُوة السلاح .. قوةُ السلطانِ . كانت مارتينة من خلفه .

شطا : لقد استغلّ نفوذَها إن كان لها نفوذٌ في

التعجيل بتسوية الأمور .

الهاموك : لمصلحة العرب .

شطا : بل لمصلحة أهل مصر أولاً قبل مصلحة العرب . ثم لمصلحة الروم أنفسهم فلولا هذا الصلح لاقتحم العرب الاسكندرية وإذن لساقوهم اسرى ولاستولوا على أموالهم وأملاكهم .

الهاموك : كلا ما كانوا ليقدروا على الاسكندرية أبداً ولو حاصروها عشر سنين .

شطا : بعد ما دانت لهم بلادُ الدلتا والصعيد ؟

الهاموك : ماذا كان يضطرها إلى التسليم ورزقها يأتيها من البحر وليس يعوزها شيء ؟

شطا : يا أبي ان الروم أنفسهم قد آيسوا من البقاء في البلاد . أفتريد أنت أن تستبقيهم فيها ليذيقوا أهلها المزيد من ظلم واضطهاد ؟

الهاموك : يا بني اني اخشى أن يصيبهم غداً من العرب مثل ما اصابهم من الروم أو أشد .

شطا : إذن نكافحهم مثلما كافحنا الروم .

الهاموك : ولم لا نكفي أنفسنا هذه المؤونة ؟

شطا : كيف ؟

الهاموك : إذا اتفقنا اليوم مع الروم على مثل ما اتفقنا عليه مع العرب .

شطا : اتظنُ الروم يقبلون ؟

الهاموك : بعد هذا الذي رأوه لا شك انهم سيقبلون .

شطا : ريثما يستعيدون سلطانهم فيعودون سيرتهم الأولى .

الهاموك : إذن نكافحهم من جديد .

شطا : يا أبي لقد غدوت اليوم أحرص على الروم من الروم على أنفسهم .

الهاموك : من أجل مصر يا شطا وأهل مصر .

شطا : بل من أجل نفسِك . لقد استطاع ابو طور أن يخدَعَك إذْ زَعَم لك انه سيجعَلُك الرجلَ الثاني بعده إذا تزوج ابيفانيا ابنةَ هرقل وجلسَ معها على عرش مصرَ

الهاموك : سمعْتَه إذ قال ذلك ؟

شطا : نعم

الهاموك : أليس ذلك خيراً لي من أن أفْقِدَ كلَّ شيء؟

شطا : أنك يا أبي لن تَفْقد شيئاً. ستبقى وَالِي دمياط كما أنت .

الهاموك : كلا لا أستطيع أن اتعاونَ مع هؤلاء العرب.

شطا : ماذا يمنعك ؟

الهاموك : المستقبلُ للروم

شطا : ما زلْتَ تطمع في انتصارهم ؟

الهاموك : في النهاية .

شطا : ايّة نهايةٍ ؟ هذه نهايتُهم .

الهاموك : كلا لا ريبَ عندي أنهم سيطردُون العربَ من البلاد كما طردوا الفرسَ منها من قبل .

شطا : اسمع يا أبي . اني لن اسكتَ على هذا الذي سمِعْتُ .

الهاموك : ماذا تعني ؟

شطا : لأكتُبَنّ إلى خالي المقوقس بما دار بينك وبين أبي طور .

الهاموك : ويلك ما كفاك أن تجسَّست عليّ حتى تَشِي بي .

شطا : يجب أن اكشِفَ لخالي هذه الخيانة. لا يصح أن تُوهِمَه أنك معه وأنت عليه

(يصمت الهاموك هُنَيْهة ثم يرسل قهقهة عالية)

شطا : ما خطبك يا أبي ؟

الهاموك : انك لسَرِيعُ التصديق يا بني . كيف

يُعْقَل عندك ان أخرجَ على سياسة
صِهْري المقوقس بمثل هذه السُّهولةِ ؟

شطا : ما كنت لأصدّقَ لو لم أسمع ذلك بأُذُني .

الهاموك : انك ما زِلْتِ غِرّاً يا بني . أو تَظُن ان
هذا أولُ لقاءٍ بيني وبين أبي طور ؟

شطا : ما أذكر أنه دخل بيتنا منذُ جاء هؤلاء
العربُ إلى بلادنا .

الهاموك : أجل لكني كنت أختلِفُ سِرّاً إلى بيته
في تَتْيس . أتدري لِمَه ؟

شطا : لمه ؟

الهاموك : لكي استدرِجَه حتى اعرفَ ما عنده منذ
بلَغني أن حزبَ ابيفانيا المناهِضَ لسياسة
خالك يصْطَنِعُ أبا طور ويَعْتمد عليه

شطا : أحقاً يا أبي ما تقول ؟

الهاموك : سامَحَكَ اللهُ يا ولدي . ما كان ينبغي أن
تظن بي غيرَ ذلك .

شطا : (فرحاً) الحمد لله . دعني أقبّلْ رأسك
(يقبل رأس أبيه) الآن أطمأنت نفسي
واستراح بالي .. إغفر يا أبي ما أسأتُ
الظن بك .

الهاموك : لا تثريبَ عليك يا بني .. ما كنت تعرف
جليّةَ الأمر .

المشهد الرابع

في دار عمرو بن العاص بالفسطاط

عمرو : مرحباً بك في دارِنا أيُّها البطريق الصالح .

بنيامين : شكراً لك أيها الأمير . أين العِلّيّة التي استقبلتَني فيها إذْ زُرْتُك في المرة الأولى؟

عمرو : تسألُني عنها .. ألم تعلم ماذا حلَّ بها ؟

بنيامين : ماذا حل بها ؟

عمرو : امرني أمير المؤمنين بهدْمِها وإزالَتِها .

بنيامين : علامَ ؟

عمرو : حتى لا اطّلعَ على عَوْرات جِيرَاني المسلمين.

بنيامين : وكيف عَلِمَ أميرُ المؤمنين بذلك ؟

عمرو : أمير المؤمنين لا تفوتُه فائتةٌ ؟

بنيامين : ليت أميرَ المؤمنين تَعْنيه شؤونُ القبط كما تَعنيه شؤونُ المسلمين !

عمرو : انه لكذلك لا يُفَرِّق بين شانٍ وشانٍ ولا يَشْغَله شيءٌ عن شيء .

بنيامين : إذن فلن يسكُتَ على تلك العقوبةِ القاسيةِ التي أنزلتُمُوها بأهل إخْنَا وسَخَا وبَلْهِيب .

عمرو : لا ينبغي لك أن تُسَمِّيَ العدْلَ قَسْوةً .

بنيامين : بل لا ينبغي لك أن تُسَمِّيَ القَسْوَةَ عدلاً .

عمرو : وماذا تريد مني أن اصنعَ يا بنيامين ؟

بنيامين : امنُنْ عليهم واطْلِقْ سراحَهم . غرِّمْهم ما شئت ان شئت ولكن أعِدْ إليهم حُرِّيتَهم واجعلْهم كما كانوا أهلَ ذِمَّةٍ .

عمرو : أيُرضيك يا بنيامين أن يعودَ سلطانُ الروم على البلاد ؟

بنيامين : لا ولا كرامة .

عمرو : فإن أولئك الغادرين من القبط كانوا يعملون من أجل الروم فلو لم نضرب على أيديهم لفشا الغدر في كل مكان فان الغدر يعدي كالجرب .

بنيامين : هذا حق ولكن أولئك القبط كانوا قد أكرهوا على ذلك .

عمرو : من الذي اكرههم ؟

بنيامين : زعماء الروم الذين كانوا عندهم .

عمرو : لما اقتحمنا هذه المدن والقرى لم نجد فيها أحداً من الروم

بنيامين : كانوا حينئذ قد هربوا في القوارب إذ يئسوا من النصر وخشوا أن يقعوا في الأسر .

عمرو : لقد ناديناهم قبل اقتحام مدنهم أن يخرجوا من عندهم من الروم أو يخلوا بيننا وبينهم فانكروا وجود الروم بينهم وقالوا أنهم هم الذين يقاتلوننا لا الروم .

بنيامين : لقد أكرهوا على هذه الدعوى ايضاً أيها الأمير

عمرو : لا برهان على ذلك .

بنيامين : قولي هذا هو البرهان .

عمرو : ما كنت لديهم .

بنيامين : لا يخفى عليّ أمرهم .

عمرو : لكني أنا المسؤول قبل أمير المؤمنين لا أنت .

بنيامين : فلنحتكم إلى أمير المؤمنين إن شئت

عمرو : حباً وكرامة .

(يدخل وردان)

وردان : المقوقس يا أبا عبدالله قد أقبل .

بنيامين : المقوقس ؟

عمرو : جاء في موعده

بنيامين : لِمَ لَمْ تخبرني بأنه آتٍ عندك ؟

عمرو : احبَبْتُ أن تلقاه في بيتي .

بنيامين : لكني لا أريد لقاءَه .

عمرو : فيمَ يا بنيامين ؟

بنيامين : لو عرفْت أيها الأمير ما كان في حَقِّنا منه

عمرو : قد سمعْتُ بكل شيء .

بنيامين : وما نالني منه خاصّة . لقد احْرَقَ أخي بالنار

عمرو : قد سمعْتُ بذلك كلِّه ولكنه تغيَّر اليوم وأنابَ . ومَنْ تابَ تاب اللهُ عليه .

بنيامين : أنا لا أستطيع أن أسامِحَه ابداً .

عمرو : أن دينَكم ليأمرُ بالعفو والغُفْران .

بنيامين : أجل وان ممّا زاد كراهيتي لهذا الرجل انه جعلني اخالِفُ وصايا المسيح فيه .

عمرو : إذن فابْقَ هنا بحيث يمكنُك أن تسمعَه وتراه دون أن يراك فان وجدْتَ خيراً

لقِيتَه وإلا انصرفْتَ .

بنيامين : لا بأسَ .

عمرو : أدخُلْ به يا وردان

(يخرج عمرو بالبطريق بنيامين ثم يعود)

(يدخل المقوقس)

عمرو : (يستقبله على الباب) مرحباً بالمقوقس ! مرحباً بالصديق العزيز ! مرحباً بكبيرِ القبط والروم .

المقوقس : معذرة . أنْسُبْني إلى القِبْط ان شئت فأما الرومُ فلستُ منهم وليْسُوا مني .

عمرو : إجلس . إجلس يا كبيرَ القبط . أتدري من كان هنا عندي ؟

المقوقس : مَنْ ؟

عمرو : بِطْريقُ القبط الأكبرُ بنيامين .

المقوقس : ودِدْتُ والله لو لَقِيتُه عندك عسى أن يسامحَني فيما كان مني في حقِّه وحق أخيه .

عمرو : لعله يعودُ بعد قليل فتلقاه .

المقوقس : اليوم ؟

عمرو : نعم .

المقوقس : إذن يكون اليوم أسعدَ أيامي . أتـدري يا عمرو كيف اقنعْتُ الرومَ والقبطَ في الاسكندرية بالموافَقَة على الصلح ؟

عمرو : كيف ؟

المقوقس : قلت للروم ان البِطْريقَ بنيامين قد أمضى الصلحَ معك فإذا امتنعوا هم فسيَمْضِي الصلحُ دون أن يكونَ لهم فيه حلٌّ ولا عَقْد ويخسرون المزايا التي يُخوّلها لهم الصلحُ . أمّا القبطُ فما كادُوا يسمعون اسمَ بنيامين حتى صاحُوا جميعاً نحن مع بنيامين .

عمرو : لله درُّك يا مقوقس ما ابْرَعَـك في اجْتِذاب قلوب الناس .

المقوقس : أين بَرَاعتي يا عمرو من براعتك ؟ لقـد

عرفت كيف تَصِـلُ إلى قلب مصر إذ وصلت إلى قَلْبِ بطريقها بنيامين . ان قيصر عذّبني ظناً منه انني أنا الذي خذّلتُ القبط عن الروم وما علم ان أثَـرِي في ذلك ضئيلٌ جداً إذا قِيسَ بأثر البطريق بنيامين .

(يدخل وردان) .

وردان : البطريق بنيامين .

عمرو : مرحباً به . دَعْـه يدخل .

(يدخل بنيامين)

عمرو : الحمد لله الذي جمع في بيتي بين عَظِيمَيْ القبط بنيامين والمقوقس !

(يتصافح بنيامين والمقوقس ويهم المقوقس أن يعانقَ صاحبَه ولكن بنيامين يتغافل عن ذلك) .

المقوقس : الحمد لله انك لَفِي صحـة جيدة يا أخي البطريق .

بنيامين : ليس من أجل ان مُطَاردتكم لي كانت رحيمةً أو هيّنة بل لأني كنت حريصاً على صحتي حِفاظاً على شُعْلة العقيدة أن يطفئَها قيصرُ ورجالُ قيصرَ .

المقوقس : طِبْ بالاً فقد اهلك اللهُ قيصرَ وطَوَى ملكَه .

بنيامين : الحمد لله . لقد انْتَصَفَ اللهُ لنا منه بهؤلاء المسلمين . إن لله حكمةً لا يعلمها إلا هو .

المقوقس : صدقت إن لله حكمة لا يعلمُها إلا هُوَ . الا ترى كيف انتقم لك مني فسلّطَ عليّ قَيْصرَ نفسَه الذي من أجله عذَّبْتُك واضطهدْتُك ثم الا ترى كيف فرّق قيصرُ بيننا وهو مسيحيٌّ مثلَنا وجمع هذا العربيُّ بيننا وهو على غيرِ دِيننا ؟

(يسود صمت قصير يبدو في خلاله ان بنيامين لا يستطيع الصفْحَ عن المقوقس)

عمرو : كيف رأيتَ مدينَتَنا الجديدةَ يا مقوقس؟

المقوقس : حسنة يا عمرو ولكن الاسكندرية احْرَى أن تكون عاصمةَ مصر .

عمرو : إن تكن فُسْطَاطُنا اليوم صغيرةً فستنمو وتَتّسعُ على مرّ الأيام .

المقوقس : لو اتخذْتَ الاسكندريةَ عاصمةً لك فستأمنُ عليها غَدْرَات الروم من البحر

عمرو : إن كنت تخشى عليها من غَدْرَات الروم فذلك احْرَى الا تصلحَ لنا عاصمةً .

المقوقس : كلا لن يجرؤُوا عليها إذا اتخذْتُمُوها عاصمة .

عمرو : ماذا ترى يا بنيامين ؟

بنيامين : أرى أن هذه الفسطاط الجديدة بجوار مَنْف القديمة ستكون أصلحَ لتوسُّطها في البلاد ولأنها أقربُ إلى بلادكم .

عمرو : وهذا ما رآه اميرُ المؤمنين كذلك .

بنيامين : لقد والله أصابَ أمير المؤمنين

عمرو : وكيف حالُ الاسكندرية يا مقوقس ؟

المقوقس : سَلْني عمَّن بها من الروم يا عمرو .

عمرو : ما خطبهم ؟

المقوقس : أخذوا يُرْهِقُونني بخلافاتهم وتَعِلَّاتِهم منذُ بلغَهم من القسطنطينية ان مارتينة أرملةَ هرقل التي تناصِرُني قد ضَعُف نفوذُها ونفوذ ابنها هرقليوناس على حين قَوِيَ نفوذُ ابيفانيا ابنةِ هرقل التي تناصِبُني العداءَ وتدعو لقسطانز ابن أخيها قسطنطين .

عمرو : لا تَخَفْ يا مقوقس . فلا شانَ لنا باحد في القسطنطينية وإنما شأْنُنا فيما يخص الروم معك فإن وجدت منهم غدْراً ونقْضاً للعهد الذي بيننا فأخبرني فوالله لأُؤَدِّبنَّهم شرَّ تأديب .

المقوقس : انهم اغرَوا قبطَ الاسكندرية وغيرَهم

فجعلوا يطالِبُونني بإعفائِهم من دَفْع الجزية والخراج اسوَةً بما كان متبعاً في عهد قيصر من اعفاءِ أهل الاسكندرية جميعاً .

عمرو : أفلا يكونُ ذلك ظلماً يا مقوقس لو اجبناهم إلى ما يطلبون ؟

المقوقس : ان شئت حقّقت لهم ما يريدون ريثما يتمُّ رحيلُ الروم من البلاد .

عمرو : كلا ، ينبغي أن يعلمَ أهلُ الاسكندرية ألاّ فضْلَ لهم على غيرهم من أهل البلاد وان كل امْتِيازٍ كان لهم في عهد قيصر فهو موضوعٌ .

المقوقس : يعزّ عليّ يا عمرو أن ترفُضَ هذا الطلبَ وان كان يسرُّني تمسُّكُكَ بالعدل بين الجميع ولكن لي طلباً آخرَ أهمّ من هذا ويَعْنيني أمرهُ أكثر فهل لك أن تَعِدَني بتحقيقه ؟

عمرو : نعم ان كان ذلك في ملْكي .

المقوقس : هؤلاء القبطُ الذين أسرْتَهم من أهل إخنا وسخنا وبلهيب لو اطلقت سراحَهم وأعدْتَ إليهم حريتهم وأعدتهم كما كانوا أهل ذِمَّةٍ .

عمرو : اتشفع للغادِرين ؟

المقوقس : نعم إذا أُكْرِهُوا على الغدر .

عمرو : عجباً لقد كان البطريق بنيامين يطالب بنفس هذا الذي تطالب به .

المقوقس : إذن فلا مناصَ لك من تلبيتنا إلى ما نريد . ألم تقُلْ لي يوماً انني عن الروم أمضيت الصلح وأن البطريق بنيامين أمضاه عن القبط ؟

عمرو : بلى قد قلتُ ذلك واني لصادق

المقوقس : إذن فاني عن الروم أعْتَرِفُ بانهم كانُوا هم السببَ فيما وقع من أهل هذه المدن الثلاث من التمرّد ونقْض العهد .

بنيامين : وأنا أشهد للقبط بانهم كانوا مكرَهِين على ذلك من قِبَل الروم .

(يقوم إلى المقوقس فيعانقه عناقاً حاراً)

المقوقس : الحمدلله إذ رَضِيتَ عني أيها البطريق الجليل!

بنيامين : ماذا تَرَى لو احتكَمْنا في هذا الأمر إلى أمير المؤمنين ؟

المقوقس : لو أمضاها عمرو من عنده كان أفضَلُ .

عمرو : كلا قد قضيت في ذلك قضائي فلا سبيل الى نقضه .

المقوقس : إذن فلنحتكم إلى أمير المؤمنين .

المشهد الخامس

في بيت الهاموك بدمياط

المقوقس : (يتلفت كالخائف) أخشى أن تسمعنا خالتُكِ هيلانة .

ارمانوسة : اطمئِنّ يا خالُ .. انها في المطبخ .

المقوقس : قلت ان شطا نفسَه هو الذي أخبرك ؟

ارمانوسة : نعم .

المقوقس : قال لك انه سيجمعُ جيشاً ليقاتِلَ به أباه ؟

ارمانوسة : نعم .

المقوقس : ليته كان استشارَني في ذلك .

ارمانوسة : وأين كان يجدك ؟ لقد فُوجِىءَ بحركة أبيه فلم يعلَمْ بها إلا بعد ما توجّه أبوه

إلى تَنِّيس ؟

المقوقس : ومتى توجه أبوه إلى تنيس ؟

ارمانوسة : منذ أسبوعين .

المقوقس : يا لَسُوءِ حظي ! أترُكُ أعمالي باسكندرية واجيءُ عندكم لأشهدَ عُرْساً فاجد مكان العرس حرْباً !

ارمانوسة : ذاك يا خالي من سُوءِ حظي أنا وقِلّة بختي.

المقوقس : لا بأس . اصبري قليلاً يا ارمانوسة .

ارمانوسة : إلى متى اصبر ؟ لقد أوشكْتُ أن أُحشَرَ في زُمْرة العوانس.

المقوقس : العوانس ؟ حاشا لله. جمالُك يا بنيتي يحميك من ذلك .

ارمانوسة : صَهْ . هذه خالتي قد أقبلت .

(تدخل هيلانة) .

هيلانة : ما بالُكما سكتُّما حين اقبلتُ ؟

المقوقس : لتشتركي معنا في الحديثِ .

هيلانة : (في ارتياب) أي حديث ؟

المقوقس : في أي حديث تُحِبِّين . ماذا صنعْتِ لنا اليوم في مطبخك ؟

هيلانة : دعني من هذا . كنتُمَا تتحدثان عن زوْجي وابني .

المقوقس : أجل .

هيلانة : ماذا كنتما تقولان ؟

المقوقس : كنت أقول لارمانوسة كان ينبغي ان تُخْطِروني حين أردتم تأجيلَ يوم العرس عن موعده فاني مشْغولٌ كما تعلمون .

هيلانة : كلا يا قيرس إننا لم نرد تأجيلَه .

المقوقس : فهانذا قد حضرت من الاسكندرية ولم أجدْ لا شطا ولا والده .

هيلانة : تلك هي المحنةُ يا أخي . لا ادري ماذا جرى لشطا وأبيه .

المقوقس : لقد اخبرتموني أن الهاموك توجَّه الى تنيس ليبتاعَ منها الثيابَ الفاخرة للعروسين .

هيلانة : هذا ما ادَّعاه حين ذهب .

المقوقس : ادعاه ؟

هيلانة : لو كان صادقاً فيما ادعاه لكان قد رَجعَ قبل اليوم .

المقوقس : لعله لم يجدْ في السوق مُبْتَغَاه فانتظر حتى يجدَه .

هيلانة : كلا يا أخي قلبي يُحدِّثني أن وراء ذلك شرّاً .

المقوقس : لِمَ تتوقّعين الشر ولا تتوقعين الخير ؟

هيلانة : أراد شطا أن يصحَبَه في رحلته الى تنيس فرفَضَ .

المقوقس : وأي شيء في ذلك ؟

هيلانة : وبعد سَفرَ أبيه بيومين قرر هو السفرَ فجأةً وهو هائجٌ مائجٌ

المقوقس : ألم تقولوا انه سافر إلى اشمُومَ ليجيءَ لكم بأجودِ الجُبْن والعَسَل ؟

هيلانة : هذا ما زَعَمه لنا والله اعلمُ بما في نيته .

المقوقس : هيلانة يا أختاه علامَ هذا التطيُّرُ والتشاؤم؟

هيلانة : رأيت البارحةَ رؤيا افزَعَتْني وملأَتْ قلبي رُعْباً .

المقوقس : ماذا رأيت ؟

هيلانة : كأنما كان شطا وابوه يتبارَزَان بالسيف فاختَلَفا ضربتين فسقَطَا صريعَيْن .

المقوقس : هوّني عليك . هذه اضغاث أحلام .

(يسمع وقع حوافر جواد ثم ينقطع)

ارمانوسة : (تنظر من الشباك) هذا شطا قد عاد . الحمد لله .

هيلانة : وأبوه . ماذا جرى لأبيه ؟

المقوقس : هو من طريق وأبوه من طريق .

هيلانة : اني خائفة .

(يدخل شطا) .

شطا : خالي أنت هنا . الحمد لله إذْ نجَوْتَ .

المقوقس : نجوت مِمَّاذَا !

شطا : من أن تُساقَ إلى أبي طور فيُرسلكَ أسيراً إلى ابيفانيا بالقسطنطينية .

المقوقس : كيف ؟

شطا : لقد علم أبو طور انك ستكون هنا لحضُور العُرس فسيّر فِرقةً من جنوده ليقبضُوا عليك ويسوقوك إليه .

المقوقس : وماذا فعلوا ؟

شطا : ترصَّدْنا لهم أنا ورجالي بالساحل فلما نزلوا من سُفنهم انقضَضْنا عليهم فقتلنا منهم مقتلة وفرَّ الباقون في السفن .

المقوقس : بُوركت يا بني . لقد قمْتَ بعمل عظيم وأين تركتَ رجالَك ؟

شطا : تركتهم يُرابِطُون بالساحل .

هيلانة : وأين أبوك يا شطا ؟ ألم تسمَعْ عنه شيئاً ؟

شطا : لا يا أماه لم أسمع عنه شيئاً ولكني لَقِيتُه .

هيلانة : لقيته ؟ أين لقيته ؟

شطا : عند الساحل .

هيلانة : الحمد لله إذ لم تصدُقْ رؤياي .

شطا : أي رؤيا يا أماه ؟

هيلانة : خبرني أولاً أين تركت أباك ؟

شطا : هو الذي تركني .

هيلانة : تركك ؟ كيف تركك ؟

شطا : فرّ من وجهي مع جنود أبي طور .

هيلانة : وامُصِيبَتَاه . اوقد انضمّ أبوك الى أبي طور ؟

شطا : هو الذي كان يقُودُ هذه الحملةَ لأبي طور .

هيلانة : (باكية) حسْبي الله منك يا هاموك . حسبي الله منك !

المشهد السادس

في بيت المقوقس باسكندرية

يرى المقوقس مريضاً على فراشه وعنده هيلانة وارمانوسة (يسمع قرع خفيف على الباب الخارجي) .

هيلانة : (في جَزَع) البـاب يقرع يا ارمانوسة . يا ويلتاه .

ارمانوسة : تشَّجعِي يا خالة .

هيلانة : من أين ؟ ما بقي لنا صبرٌ ولا جَلَد . لا تفتحي يا بنيتي إلا بعد أن تنظري من الطَّاق .

ارمانوسة : سأفعل يا خالة . (تخرج) .

المقوقس : لا تخافي يا هيلانة .

هيلانة : اني إنما أخافُ عليك يا أخي .

المقوقس : ان كانوا يريدون بي شراً فلن تُغْنيَ عنا هذه الأبوابُ شيئاً .

هيلانة : ليت ابني شطا بقي معنا ولم يخرج .

المقوقس : شطا خرج في مُهِمّة .

هيلانة : ليتك بعثت غيره (تسمع حس ارمانوسة والقادمين) من يا ارمانوسة ؟

ارمانوسة : (صوتها) زائرتان من جاراتِنا يا خالة .

هيلانة : (بصوت خافض) في هذا الوقت العَصِيب؟ (بصوت عال) أهلاً وسهلاً ادخليهما البَهْو يا ارمانوسة .

(تدخل ارمانوسة وإحدى المرأتين المدعوتين) .

هيلانة : قلت لك في البهو يا ارمانوسة .

المرأة : أليس لي أن أرَى خالي ؟

هيلانة : (مدْهُوشَةً) خالك ؟

المقوقس : هذا ابنُك شطا يا هيلانة. ألم تعرفي صوتَه؟

هيلانة : شطا ! ها .. تنكّرْتُ في زيِّ امرأة ! وأين الثانية يا ارمانوسة ؟. لقد قلت زائرتان.

شطا : ادخل يا يونس .

(يدخل يونس حاملاً زيه التّنَكُّري قد خلعه عن نفسه)

هيلانة : الحمد لله . ابقيا انتما معنا ولا تتركانا بعد الآن .

شطا : معذرةً يا اماه دَعِيني احدِّثُ خالي عن المهمة .

ارمانوسة : قبل أن يطرُقَنا احدٌ .

هيلانة : تتوقعين ان يطرقَنا أحد بعد ؟

ارمانوسة : من يدري ؟

شطا : تكلم يا يونس

يونس : ياسيدي البطريق إن عمرو بن العاص يهديك

السلام ويحمد لك شجاعتك وصلابتك في موقفك .

المقوقس : لكن أين ثالثكم الذي اسمه ...

شطا : ابن حذافة ؟

المقوقس : أجل لماذا لم يأتِ معكما ؟

يونس : ذهب الى الحصن ليُنذرَ اخوانه من حامية العرب بما اتفقنا عليه مع عمرو بن العاص .

المقوقس : علامَ اتفقتم معه ؟

يونس : على أن نقتحم نحن ورجالنا البوابة الكبرى فنفتحها على مصراعيها للجنود العرب .

المقوقس : متى ؟

يونس : الليلة .

المقوقس : الليلة ؟

يونس : قبل أن تمتدَّ اليك أيديهم بسوء .

المقوقس : ذكرتم لعمرو بن العاص ما أصابني من تحرشهم ؟

يونس : نعم . بيّنا له كل شيء .

المقوقس : بوركتم وبورك أميركم عمرو .

(يقرع الباب الخارجي قرعاً شديداً)

هيلانة : هذا قرع شديد .

ارمانوسة : لابدّ أنهم الروم .

هيلانة : يا ويلتا ماذا نعمل ؟

المقوقس : اختبىءْ يا شطا انت ويونس وافتحي يا ارمانوسة

شطا : أواه .. لولا خطة الليلة لتصدَّيْنا لهؤلاء .

المقوقس : حذار ان تظهرا لهم . الخطةُ أهمُّ من أي شيء آخر .

(تخرج ارمانوسة الى جهة اليمين لتفتح ويخرج شطا ويونس الى جهة اليسار ليختبئا

ارمانوسة : (صوتها) انتظروا حتى استأذن لكم عليه .

تيودور : (صوته) لا داعِيَ للاستِئْذَان عندنا أوامِرُ عُلْيا .

ارمانوسة : (صوتها) إن خالي المقوقس مريضٌ ولا يصحُّ ان تدخُلُوا جميعاً عنده .

تيودور : (صوته) هؤلاء الجنود لن يدخلوا معنا . أنا واودوقيانوس فقط .

(يدخل تيودور واودوقيانوس)

تيودور : كيف أنت اليوم يا قِيرِس ؟

المقوقس : أنا بخير ماذا تريدون أنتم ؟

تيودور : تكلَّمْ يا اودوقيانوس .

اودوقيانوس : ما زِلْتَ مُصِرّاً على موقفك ؟

المقوقس : نعم اتفاق عقَدْناه وليس لنا أن ننقُضَه .

اودوقيانوس : بل عقدْتَه أنت وحدك وفرَضْتَه علينا إذ كانت مارتينة تسنِدُك وتأخُذُ بناصِرِك . وقد قُتِلت مارتينة اليوم

وقتل ابنُها هرقليوس وانتقلت السلطةُ الى ابيفانيا وابن أخيها الأمير قنسطانز بن قسطنطين .

المقوقس : هذا لا يُغيِّرُ من الأمر شيئاً .

اودوقيانوس : لستَ اليوم مُمَثِّلَ دولةِ الروم في مِصْرَ .

المقوقس : من إذن ؟

اودوقيانوس : القائدُ تُيُودُور فهو الذي تولَّى هذا المنصِبَ مكانَك .

المقوقس : الأمرُ ليس أمرُكم وحدكم معشَرَ الروم ، بل أمرُ القبطِ في اسكندرية وسائِرِ طَوائِفِها وليس من مصلحة هؤلاء نقضُ الاتفاق .

اودوقيانوس : لا شانَ لنا بهؤلاء .

المقوقس : لا شان لكم ولكن لي بهم شأنا .

اودوقيانوس : انك قد عُزِلْت . ألم تَفْهَمْ بعدُ ؟

المقوقس : فماذا تريدون بعدُ مني ؟

اودوقيانوس : أن تُعلنَ نقضَ الاتفاق .

المقوقس : دعوا الذي تولّى مكاني يعلنُ ذلك .

اودوقيانوس : الذي تولى مكانك يأمرك بذلك .

المقوقس : لا أقبل أن يأمرَني أحدٌ .

اودوقيانوس : لقد صبرنا عليك حتى الآن رعايةً لشيْبَتِك وقد كاد صبرُنا أن ينفد .

المقوقس : اتهدّدَني ؟

اودوقيانوس : أجل .

المقوقس : افعل ما بَدَا لكَ .

(يأخذ اودوقيانوس بلحية المقوقس) .

(نرى يونس يهم بتجريد سيفه ولكن شطا يمنعه من ذلك) .

ارمانوسة : (تحاول تنحية يده عن لحية خالها) نَحِّ يدك.

اودوقيانوس : يسعدني أن تَضَعِي يدَك على يدي أيّتُها الساحرة !

ارمانوسة : أيها الوَغْدُ .

اودوقيانوس : كُفّي لسانَك عني . لا تحسَبِيني مثلَ دومنتيانوس .

(يدخل دومنتيانوس)

دومنتيانوس : نَحِّ يدَك !

اودوقيانوس : ما شأنُك أنت ؟

دومنتيانوس : نَحِّ يدك !

اودوقيانوس : ما زلت تطمعُ فيها ؟ أنها ليست لك !

دومنتيانوس : ان لم تُنَحِّ يدك لأقطعنّها بهذا السيف (يجرد سيفه) .

اودوقيانوس : اتخوّفُني بسيفك ؟

دومنتيانوس : قسماً بالسيد المسيح إن لم تنح يدك لأقتلنّك.

اودوقيانوس : (يرسل لحيةَ المقوقس) لتَنْدَمَنّ غداً على موقفك هذا .

دومنتيانوس : أيها المنافقُ ! اتظن ابيفانيا لا تعلمُ انك كنتَ من صنائعِ مارتينة ؟

اودوقيانوس : وأنت ؟

دومنتيانوس : أنا لستُ مُنافِقاً مثلَك . انا لا أُبالي .

تيودور : حسبكما . لا تتشاجرا أمام الشيخ المريض .

دومنتيانوس : الآن يا تيودور ؟ هلا زجرْتَه عن سوءِ فعله هذا من قبل ؟

تيودور : أردنا من الشيخ أن يُعلِنَ نقضَ الاتفاق الذي بيننا وبين العرب فأبى .

دومنتيانوس : ولماذا لا تُعلِنُونَه أنتم ؟ اَخشِيتُم ات تتحمّلُوا تبعةَ ذلك فاردتم ان تلقُوها على كتفيْه ؟

تيودور : ان بقاءَنا هُنا لن ياتيَ بخير . هيا بنا يا اودوقيانوس . هيا بنا يا قوم .

(يخرج القوم ما عدا دومنتيانوس)

المقوقس : لا نَدْري يا دومنتيانوس كيف نَشْكرك .

دومنتيانوس : انما دفعتُ عنك شرَّ أخي ولاشكر لي على ذلك .

هيلانة : كلا لا نجحَدُ فضلَكَ أبداً .

ارمانوسة : لقد وقفْتَ موْقِفاً تحسُدُك عليه الأبطالُ وانك لتستحقّ الجزاءُ يا دومنتيانوس .

دومنتيانوس : ان كنت أستحقّ جزاءً فقد نِلْتُه بكلمتكِ هذه يا ارمانوسة !

ارمانوسة : ودِدْتُ اليوم يا دومنتيانوس لو كنتَ من ذَوي قُرْباي !

دومنتيانوس : ماذا كنت فاعلةً إذن ؟

ارمانوسة : إذن لَما رَضِيتُ أن يتزوجَني أحدٌ غيرَك .

دومنتيانوس : اتَعْنين ما تقولين يا ارمانوسة ؟

ارمانوسة : نعم .

دومنتيانوس : إذن ففي قولك هذا عزاءٌ لي أيُّ عزاءٍ . (ينهض) اسمَحْ لي يا سيدي البطريق ان انصرفَ الآن لأقضِيَ لي مهمةً ثم أعودُ لأحرُسَكم .

المقوقس : لتحرسنَا ؟

دومنتيانوس : نعم لا ينبغي أن أترُككُم دون حارسٍ .

المقوقس : شكراً لك يا دومنتيانوس . عندنا من يحرسُنا في البيت . عندنا شطا ويونس .

دومنتيانوس : أين هما ؟

المقوقس : مُختبئَان داخلَ البيت لئلا يتحرّشا بالقوم . تعال يا شطا ! تعال يا يونس !

(يدخل شطا ويونس فيصافحان دومنتيانوس بحرارةٍ) .

شطا : آه لو كان الروم جميعاً مثلَك !

دومنتيانوس : أما أنا يا شطا فإني اتمنى لو كنت مثلَك .

يونس : انكما تتمنيان ما لا يكون .

دومنتيانوس : أنت الذي أنقذْتَ ارمانوسَة في الطريق بين بلبيس وبابليون ؟

ارمانوسة : اجل هو بعَينه يا دومنتيانوس .

دومنتيانوس : واهديْتِ إليه الصليبَ .

ارمانوسة : نعم .

دومنتيانوس : تُرَى ماذا صنَعْتَ به يا يونُس ؟

يونس : احتفَظْت به على سبيل الذكرى .

دومنتيانوس : معك حتى اليوم ؟

يونس : أجل معي دائماً لا يفارِقُني أبداً . تُحِبُّ أن تَرَاه ؟

(يظهر له الصليب)

دومنتيانوس : طُوبَى لك يا يونس ! طوبى لك !

المشهد السابع

في دار الحكم باسكندرية وقد احتلها العرب يُرى عمرو بن العاص وحوله وجوهُ رجاله وقد اجلس المقوقس عن يمينه ووقف أمامه وفد من الروم على رأسهم تيودور .

المقوقس : لا تأخذْك بهم رأفةٌ يا أميرُ العرب . اني نصحت لهم فاستغشوني وكادُوا يبطشون بي وأنا مريضٌ .

تيودور : انها كانت فتنةٌ يا أمير العرب. ضاعَتْ فيها الأحلامُ وطاشَتْ فيها العقولُ ، واختلَطَ فيها المذنبُ بالبريء، وقد نجحْتَ في اطفاءِ نارها فاعتبرْها كأن لم تكنْ .

المقوقس : كلا يا أمير العرب . انك إذن تُسوّي بين

الصالحين والمُجْرِمين .

تيودور : هذه فتنة لم يتبيّن فيها الصالحُ من المجرم .

المقوقس : بلى . كان المجرمُون من الروم والصالحون من القِبْطِ .

تيودور : كلا يا أمير العرب . بل كان القبط معنا في هذه الفتنة فإمّا ان تعفُوَ عنهم جميعاً أو تعاقبَهم جميعاً .

المقوقس : لو استطعتم لزَعمْتُم أن الذين قاموا بالغَدْر ونقْضِ العهد كانوا جميعاً من القبط ولم يشتركْ في ذلك من الروم أحد .

تيودور : كلا . نحن نقولُ الحق ونعترفُ به . اشترك الرومُ والقبطُ وغيرُهم في هذه الفتنة .

المقوقس : الذين اشتركوا فيها من القبط كانوا مُكْرَهين على ذلك .

تيودور : من ذا أكرههم ؟

المقوقس : أنتم الروم .

تيودور : هذه دَعْوَى لا يستطيع أحدٌ إثباتَها .

المقوقس : في وُسْع الامير أن يسألهم .

تيودور : يسأل مَنْ ؟ القبطَ ؟

المقوقس : نعم .

تيودور : لا ريبَ انهم سيزعمون ذلك ليبرِّئُوا أنفسَهم .

المقوقس : انكم وجدتُم عوْناً من بعضِ اهلِ المدينة لما اقتحمتُم أبوابها يا أمير العرب ؟

عمرو : أجل .

المقوقس : أولئك من أهلِها القبطِ وما كانُوا ليفعلُوا ذلك لو لم يكونوا على العَهْدِ ثابتين وللفتنة كارِهين .

تيودور : اني لا أنكرُ أن من القبط مَن كرِهَ الفتنةَ ولم يشْتَرِكْ فيها ولكن الجمْهَرَةَ العُظْمَى بينهم كانوا مشتركين .

المقوقس : كيف عرفت ذلك ؟ هل احصَيْتَهم ؟

تيودور : لقد كان ذلك واضحاً لنا جميعاً خِلالَ أيام الفتنة . وبعدُ فإني ألتَمِسُ لهم العفوَ والصفحَ من أمير العرب كما ألتَمِسُ للروم. والأميرُ واسِعُ الحِلْم فلماذا تريدُ أنت أن تُضيِّقَه .

المقوقس : لا ينبغي للأمير أن يُنْسِيَه الحِلمُ واجبَ العدلِ .

(يدخل وردان)

عمرو : ماذا وراءك يا وردان ؟

وردان : رسولُ أمير المؤمنين يا أبا عبدالله .

عمرو : مرحباً برسول أمير المؤمنين. دعْه يدخل .

(يخرج وردان ثم يدخل أبو رافع)

أبو رافع : السلام عليكم ورحمة الله .

عمرو : وعليك السلام يا أبا رافع ورحمة الله . كيف تركْتَ أميرَ المؤمنين ومَنْ عنده ؟

أبو رافع : تركتُهم بخير وعافية وقد جئتُكَ بكتابِ أميرِ المؤمنين في أمر اسْرَى بلهيب واخنا وسلطيس .

عمرو : تُرَى ماذا قضَى في أمرهم أميرُ المؤمنين ؟

أبو رافع : قضَى بإعادتهم إلى الحرية واعتبارهم أهلَ ذِمَّةٍ (يناوله كتاباً) .

المقوقس : (هاتفاً) عاش أميرُ المؤمنين العادلُ !

أبو رافع : حتى أولئك الذين أُرْسِلُوا منهم إلى المدينة مِمّن وقَعَ عليهم السَّبْيُ ردَّهم أميرُ المؤمنين معي احراراً إلى بلادهم .

المقوقس : حيّا الله عدل أمير المؤمنين !

عمرو : (يتصفح الكتاب) وأين هُم ؟ أجئْتَ بهم معك ؟

أبو رافع : لا يا أبا عبدالله . استأذَنُوني في بعض الطريق لينطَلِقُوا إلى قُرَاهم .

عمرو : الحمد لله لقد افتانا أميرُ المؤمنين فيما نحن فيه .

ان أمرَ أهل الاسكندرية لا يختلِفُ عن أمر أهلِ بلهيب واخنا وسلطيس .

المقوقس : تعني ان أمرَ القبط هنا مثلَ أمر القبط هناك؟

عمرو : بل أعني اننا سنمضي الاتفاق كما كان وكأنما لم ينقُضْه الرومُ وغيرُ الروم .

تيودور : بُوركت يا أمير العرب . شكراً لك يا أمير العرب .

المقوقس : يا عمرو انك ان سوَّيْت بين الأبرياء والمذنبين اغرَيْت المذنبين بمعاوَدَة الذنب .

عمرو : هَيْهات يا مقوقسُ لن نمكنَهم من ذلك أبداً . إنا لن نرابطَ منذ اليوم خارجَ الاسكندرية كما كنّا بل داخلَها إلى أن يجْلُوا عنها جميعاً فيما بَقِيَ لهم من أمد الهُدْنة .

تيودور : لكن الاتفاقَ يقضِي بأن تبقُوا خارجَ المدينة .

عمرو : الاتفاقُ قد نقَضْتُمُوه أنتم فمن حقنا أن نمنعَكم من نقْضِه مرة أخرى .

تيودور : اني أخشَى أيها الأمير أن يقعَ بين جنودكم وجنودنا احتكاكٌ وعِراكٌ .

عمرو : ان جنودَنا لا يعتَدُون على أحد . وعليكم أنتم أن تكُفُّوا جنودَكم عن العُدْوان وإلاّ نَكّلنا بهم تنكيلا . وقد اعذَرَ من انذَرَ . انصرفوا ان شئتم .

(يخرج تيودور والوفدُ الذين معه) .

(يدخل عبدالله بن سعد ووردان ومعاوية ابن حُديج) .

عمرو : ماذا فعلتم يا ابن سعد ؟ هل اخترتُم مَن يحمل بُشْرى الفتحِ إلى أمير المؤمنين ؟

ابن سعد : نعم هذا معاويةُ بن حُديج الكِنْدِيّ وجدناه افْصَحَهم لساناً واقْدَرهم على وَصْفِ ما رَأى وما شَهِد .

عمرو : على بركة الله . أمضِ يا معاوية بالبُشْرى إلى أمير المؤمنين .

معاوية : ألاَ تكتبُ معي كتاباً إليه ؟

عمرو : وما اصنع بالكتابِ ؟ قد اخترْناكَ يا معاويةُ لتكون أنت الكتاب فصِفْ لأمير المؤمنين الدّقيقَ والجليلَ مِمَّا شهدْت واجعلْه بلسانِك كأنه رَأى بِعَيْنيكَ .

معاوية : أفعل أيها الأمير .

عمرو : يا وردان جهز لمعاوية بن حديج ما يُصْلِحُه .

(يخرج وردان ومعاوية بن حديج)

شطا : أيها الأميرُ لقد آن لك اليوم أن تُجيبَني إلى ما طلبْتُ .

عمرو : تعني غَزْوَ تنيس ؟

شطا : أجل .. ما بَقِي اليوم في مصر من بلد إلا تَحَرّرَ من سلْطانِ الروم ما خلاَ تنّيسَ .

عمرو : فيها الطّاغِيةُ أبو طور ؟

شطا : وفيها الخائنُ الهاموك الذي انضمّ إليه .

عمرو : هي في وَسَط البحر ؟

شطا : نعم فهي لذلك حصينةٌ منيعةٌ .

عمرو : وماذا علينا يا شطا لو تركناها إلى حين ؟

شطا : أيها الأمير ستظلّ شواطئُنا مهدَّدَة ما بَقِيت تنيس . لقد عجزَ الفرسُ عن الاستيلاء عليها يوم استولوا على مصر فما لَبِثَ الرومُ أن وثَبُوا منها واستردُّوا مصر من أيْدِي الفرس .

عمرو : اني اشْفِقُ على المسلمين يا شطا من أخْطَار الحرب في البحر .

شطا : هذه حجةٌ غيرُ مقنعة أيها الأمير . لم لا تقولُ انك لا تريد حربَ أبي طور لأنه عربي مثلَكم ؟

عمرو : ويحك يا شطا إنما أردت أن تُهيّجَني بهذه الكلمة !

شطا : بل هي كلمةُ حق أيها الأمير .

عمرو : كذبْتَ ان كونَ الطاغية عربياً لأحْرَى أن يدفَعَنا إلى قِتاله .

شطا : فقد حق عليكم قتالهُ اليوم فماذا يمنعُكم من قتاله ؟ اني سأدبّر لكم السفُنَ التي تحمل جنودَكم وما يحتاجون إليه من المُؤَن .

عمرو : ماذا ترى يا رومانوس ؟

رومانوس : أيها الأمير ان هذا الفتَى المِصْرِيَّ لم يدَعْ لك من عُذْر تعتذر به عن غَزْوِ تنّيس فاغْزُهَا وتوكّلْ على الله .

عبادة : أجل يا أبا عبدالله . دعْنا نتوجَّهُ إليها ونستعن بالله .

عمرو : إذن فانْدُبْ لها يا ابن الصامِتِ من يُريد من المسلمين مُتَطوعاً غير مستَكْرَهٍ .

رومانوس : اجعلني فيهم يا صاحبَ رسول الله .

شطا : وأئذنْ لي أيها الأميرُ أن اكونَ دَلِيلاً للجيش .

عمرو : أنت دليلُ الجيش !

شطا : الحمد لله ! الحمد لله ! اصْغِ إليّ أيها الأمير .
اصْغُوا إليّ جميعاً .

عمرو : ماذا عندك ؟

شطا : أشهد ألا إله إلا الله . وان محمداً رسول الله .

عمرو : اتدري يا شطا ماذا فعلْتَ .

شطا : نعم . اسلمْتُ لله رَبِّ العالمين .

عمرو : أنت إذن أميرُ جَيْشِ تَنِّيس !

المشهد الثامن

في بيت المقوقس باسكندرية

المقوقس وهيلانة وارمانوسة

هيلانة : كلِّمِيه أنت يا بُنيّتي لعله يسمع لك .

ارمانوسة : كلا لن استَجْدِي منه الحبَّ . كلّماه أنتما ..
أنت يا خالتي أمُّه وأنت يا خالي خالهُ .

المقوقس : وأنت يا ارمانوسة حبيبته .

ارمانوسة : كلا لو كان يُحِبُّني حقاً لما اقدَمَ على ما
اقدم عليه .

المقوقس : إنا قد حاولْنا معه كلَّ سبيل يا ارمانوسة
ولكن دون جَدْوَى .

هيلانة : أجل، لقد ناقَشَه خالُك طويلاً، واسمَعَه
كلاماً لو سَمِعَه الحجرُ لاقتنعَ به .

ارمانوسة : إذن فلن يُجْدي كلامي معه شيئاً .

هيلانة : حاولي يا ارمانوسة .. لا بأسَ من المحاولة . من يَدْري .

ارمانوسة : انه لم يكاشفني بهذا الأمر حتى الآن .

المقوقس : لأنه يتهيّبك .

ارمانوسة : بل يَخْجَلُ مني .

المقوقس : هذا ارْجَى أن يُؤثّر فيه كلامك .

هيلانة : ها هوذا قد اقبل ! فعليك به يا ارْمانوسة .

ارمانوسة : كلا لن أذِلَّ له كِبْرِيائي . لن أكلّمه في هذا الأمر إلا إذا فاتحني هو فيه .

المقوقس : دعينا يا هيلانة نَنْسَحِبُ حتى يخْلُوَ أحدُهما إلى الآخرَ .

(يخرج المقوقس وهيلانة) .

(يدخل شطا وقد ارْتَدَى ثيابَ الذاهبِ إلى الحرب) .

شطا : (يقترب من ارمانوسة) ارمانوسة !

ارمانوسة : (في اعراض) ماذا تُريد ؟

شطا : ألا تَرَيْنَ هذه الثيابَ التي عليّ ؟

ارمانوسة : ما بالُها ؟

شطا : اني ذاهبٌ إلى الحرب .

ارمانوسة : اعرف انها ثيابُ الميدان .

شطا : ولم تسألِيني يا ارمانوسة ؟

ارمانوسة : وعلامَ أسألُك ؟

شطا : لا رَيْب انك قد سمعت يا ارمانوسة .

ارمانوسة : بماذا ؟

شطا : بأني أسلَمْتُ !

ارمانوسة : وماذا تريد أن تفعلَ بعد ؟

شطا : أُريد أن أؤكدَ لك اني باقٍ على حبك .

ارمانوسة : الحب ؟ ما كنت اظن انك تجرؤُ بعدُ على التلفُّظِ بهذه الكلمة .

شطا : علامَ يا ارمانوسة ؟

ارمانوسة : لقد قطعت كلَّ رابطةٍ بيني وبينك .

شطا : كلاَّ هذا غيرُ صحيح .

ارمانوسة : ان لم يكن صحيحاً من قِبَلِكَ فهو صحيحٌ من قِبَلي .

شطا : ماذا تعنين ؟

ارمانوسة : ان كنتَ باقياً على حبي كما تزعمُ فإني غيرُ باقية على حُبّكَ .

شطا : حنانَيْكِ يا ارمانوسة . امن أجل اني عرفت الحقَّ فآمنتُ به ؟

ارمانوسة : اختَرْ بين حبي واسلامِكَ .

شطا : بل أجمعُ بينهما يا ارمانوسة فأجمعُ بين السعادَتَيْن .

ارمانوسة : كلا ليس لك إلا أحدُهما فاختر ما يحلُو لك.

شطا : (محتداً) إذن فقد اخترتُ .

ارمانوسة : هذا الدينَ الجديدَ ؟

شطا : أجل .

ارمانوسة : هأنتذا قد اعترفْتَ انك لا تُحِبُّني .

شطا : ما حِيلتي يا ارمانوسة ؟ أنت التي حملْتِني على ذلك . ان الدينَ لأمرٌ خطير وليس بالأمرِ اليسير . انه وجودُك كله تسوّينه من جديد .

ارمانوسة : فعلامَ إذن تكلمني في الحُبِّ ؟

شطا : لأني أُحبُّك .

ارمانوسة : لكني لا أمنحُ حبّي لمن ليس على دِينِي .

شطا : الأمر يسيرٌ . ادخلي في دينِ مَنْ تُحِبين .

ارمانوسة : ويلك يا شطا أما كفاكَ ان تركتَ دينَك حتى تدعُوَني أن افعلَ مثلَك . فيم إذن كافَحْنا الرومَ ذلك الكفاحَ الطويل ؟

شطا : كافحنا الرومَ من أجل حُرِّيَّةِ العقيدة وقد ظَفَرْنا بها والحمدُ لله .

ارمانوسة : لكنك اضعت العقيدةَ نفسَها اليوم . لقد نقَمْنا على الروم إذ فرضُوا علينا مذْهَباً غير مذهبنا في الدين المسيحي فما بالُك بالخروج من الدين المسيحي كلِّه إلى دين جديد ؟

شطا : ان احداً لم يُكرِهْنا على هذا الدين الجديد . اني أسلَمْتُ من تلقاءِ نفسي ووَحْي ضميري . اني آمنتُ به يا ارمانوسة فكيف اهرَبُ من إيماني ؟

ارمانوسة : دعني إذن اهربْ منكَ .

شطا : كلا ليس لك مني مَهْرَبٌ .

ارمانوسة : لِمَ لا ؟ أو تظنُّني لا أجدُ زوجاً غيرَكَ ؟

شطا : مَعاذ الله ولكنك لن تجِدِي مَنْ يُخْلِصُ لك مثلي ؟

ارمانوسة : بلى قد وجدْتُه . قد وجدت مَنْ هو أفضلُ منك وأكثرُ اخلاصاً لي منك .

شطا : هَيْهات . مَنْ يكونُ ؟

ارمانوسة : دومنتيانوس !

شطا : دومنتيانوس ؟

ارمانوسة : أجل . هو الذي أنقذ خالي من بلاطِ قيصَر ، وذب عنه يوم اختبأْت أنت كالمرأة خلف تلك الستارةِ !

شطا : سامَحَك الله يا ارمانوسة . لقد علمتِ اني ما اختبأْتُ جبناً ولكن لأمر .

ارمانوسة : ليس يَعْنيني ذلك في قليل ولا كثير . ان دومنتيانوس يحبُّني حباً عظيماً وكفَى ، واني ساتزوجُه .

شطا : لكنك لا تحبِّينه .

ارمانوسة : بلى ، صرت احبُّه ولا احبُّ سِواه .

صوت : (ينادي من الخارج) يا شطا .. يا شطا .

شطا : نعم .

الصوت : الجيشُ في انتظارِك . على أُهْبَةِ المَسِير .

شطا : انتظرني ! أنا خارج !

ارمانوسة : (تنادي) فرتون ! فرتون !

فرتون : (صوته) لبيك يا سيدتي (يدخل) .

ارمانوسة : تعرفُ دومنتيانوس يا فرتون ؟

فرتون : نعم .

ارمانوسة : انطَلِقْ إلى المعسكرِ الروماني فستجدُه هناك . قل له اني أريدُ أن أرَاه .

شطا : قل له ان سيِّدَك المقوقَس يريد أن يرَاه .

ارمانوسة : كلا يا فرتون . قل له اني أنا ارمانوسة أُريد أن أراه في الحال .

فرتون : سمعاً يا سيدتي .

ارمانوسة : انطلق (يخرج الغلام) .

شطا : ليس يَليقُ يا ارمانوسة .

ارمانوسة : وهل تعرفُ أنت ما يَليقُ وما لا يليق ؟

(يدخل المقوقس وهيلانة) .

المقوقس : اماضٍ أنت يا بُنَيّ الساعة ؟

شطا : أجل يا خالي ادعُ لِيَ بالتوفيق .

المقوقس : أرجو لك السلامةَ والتوفيقَ (يعانقهُ) .

شطا : وأنت يا أمّاه ؟

هيلانة : أنا واللهِ لا أدْري يا شطا ماذا أرجُو لك . فجَعْتَني أمس في دينِك إذ تركْتَه وأنت اليوم ماضٍ لتفجَعَني في أبيكَ أو في نفسِكَ أو فيكُما معاً .

شطا : فَكِّري في أمري الليلةَ يا أماه ثم ادعي لي عند صَلاتَكِ بما تُحِبِّين (يعانقها) .

هيلانة : يا سُوءَ حظي في الزوْج وفي الولَدِ !

شطا : وأنت يا ارمانوسة أرجُو لك خيراً ممّا رجَوْت لنفسك (يدنو منها كانما يريد أن يعانقها) .

ارمانوسة : (متجافِية عنه) مع السلامة .

(يخرج شطا) .

(يقف الثلاثة هُنَيْهَة واجمين) .

المقوقس : لماذا يا بنيتي أرسلْتِ إلى دومنتيانوس ؟

ارمانوسة : لأسألَه ان كان يريد أن يتزوّجَني بعد ؟

المقوقس : ما أرَى إلا انك قد تسرّعْتِ .

هيلانة : أجل يا بنيتي ان شطا ليحبُّك فلو انتظرتِهِ حتى يعودَ .لعله يرجعُ إلى ما نحبُّ وتحبّين.

ارمانوسة : كلا يا خالة . ان ابنك لن يعودَ أبداً .

هيلانة : (في ارتياع) ماذا تقُولِين ؟

ارمانوسة : (كأنها تستدرك) لن يرجعَ عن دينه الجديد أبداً .

هيلانة : من يَدْري ؟

ارمانوسة : يا خالة اني قد قررتُ أن أتزوج غيرَه .

هيلانة : هكذا في الحال ؟

ارمانوسة : ليعلم انني لست بائِرَةً .

المقوقس : لو تروَّيت قليلاً يا ارمانوسة حتى لا تُقْدِمِي على أمر قد تندَمِين غداً عليه .

ارمانوسة : خالي الحبيب اني ظلَلْتُ طول عمري مُطِيعة لك خاضِعَة لرأيك فهل لك أن تتركَني اليوم أتصرّفُ في أمري كما أريد ؟

المقوقس : كما تريدِين يا ارمانوسة كما تريدين .

هيلانة : اننا ما أردنا يا بنيتي إلا مصلحتَكِ .

المقوقس : دعيها يا هيلانة .. دعيها تتصرف كما تريد .

(يدخل الغلام فرتون) .

فرتون : السيد دومنتيانوس يا مولاتي .

ارمانوسة : دعه يدخل .

المقوقس : هل نَنْسحبُ نحن يا ارمانوسة ؟

ارمانوسة : كما تحبّان .

المقوقس : هلم يا هيلانة (ينسحب هو وهيلانة) .

(يدخل دومنتيانوس فيحني رأسَه محَيِّياً).

ارمانوسة : مرحباً بك يا دومنتيانوس . تفضل (تشير له بالجلوس) .

دومنتيانوس : (يجلس) شكراً .

ارمانوسة : (تنادي) فرتون !

فرتون : (يظهر على الباب) نعم يا مولاتي .

(تدنو منه ارمانوسة فتسارُّه بحديث ثم يخرج فرتون منطلقاً) .

ارمانوسة : اتدري يا دومنتيانوس لماذا أرسلتُ في طلبك ؟

دومنتيانوس : خيراً يا ارمانوسة .

ارمانوسة : لا ريب انك علمت بما وقَعَ من شطا .

دومنتيانوس : أجل علمت انه بدّل دينَه .

ارمانوسة : ونحن نعدُّك ذا فضلٍ علينا كبير .

دومنتيانوس : ما قمتُ إلا ببعض الواجب .

ارمانوسة : وقد رأيت ان اخبرَك بما استقرَّ عليه عزْمي بعد ما انفصَمَ الرِّباطُ الذي بيني وبينه .

دومنتيانوس : انفصَمَ ؟

ارمانوسة : تخلّى عني يا دومنتيانوس بعد ما انتظرْتهُ طول هذه المدة وآثَرْتُه على غيره من الخُطّاب .

دومنتيانوس : هوّني عليك يا ارمانوسة فلعل السماءَ قد قسمَتْ لك زوْجاً غيرَه .

ارمانوسة : هيهات يا دومنتيانوس فقد استقرَّ رأيي على ان ادخلَ الدّيْر .

دومنتيانوس : ماذا تقولين يا ارمانوسة ؟ تدخلين الدير ؟

ارمانوسة : أجل لم يبقَ لي أربٌ في الزواج ولا في الحياة .

دومنتيانوس : لا حق لك يا ارمانوسة . ما كدْت تفتَحين لي بابَ الأمل حتى اوصَدْتِه في وجْهي .

ارمانوسة : صدِّقْني يا دومنتيانوس انني ما قصدت إلا ان أُخفِّفَ عنك .

دومنتيانوس : بقطْع أمَلِي فيك ؟

ارمانوسة : قد كان أمَلُكَ مقطوعاً من قبل . وجديرٌ بك ان تتعزَّى اليوم حين تعلم انني وهبْتُ

نفسي لله فلن أزَفَّ إلى أحدٍ من البشر .

دومنتيانوس : اني اشْفِقُ عليك ان تحرمي نفسك بهجَةَ الحياة .

ارمانوسة : اني ما قررت دخول الدير إلا بعد ما ماتَتْ في نَفْسي معاني الحياة الدنيا واشرَقَ في قلبي نورُ الله .

دومنتيانوس : رُبَّما ترجعِين عن عزْمك هذا يا ارمانوسة.

ارمانوسة : كلا لا سبيلَ إلى ذلك .

دومنتيانوس : ربما يتغير رأيُكِ .

ارمانوسة : مستحيلٌ . لو كان في الامكان ان يتغيّرَ رأيي أو ارجعَ عن عزمي لما أرسلْتُ إليكَ لاستودِعَ منك لعلي لا أرَاكَ بعد اليوم .

دومنتيانوس : احقاً يا ارمانوسة خطَرَ على بالك ان تستَوْدِعِي مني ؟

ارمانوسة : وحق العذْرَاء يا دومنتيانوس .

دومنتيانوس : ما اكرَمَك يا ارمانوسة واحْنَاك عليّ !

ارمانوسة : أنتَ جديرٌ بذلك يا دومنتيانوس وباكثرُ من ذلك .

دومنتيانوس : أنت إذن رَاضِيةٌ عني ؟

ارمانوسة : كل الرضا .

دومنتيانوس : يكفيني هذا زاداً لروحي يا ارمانوسة حتى اموتَ . لأرْحَلَنّ غداً في أولِ سَفِينة تُقِلُّني إلى القسطنطينية وأنا قريرُ العيْن ، رَضِيّ البال .

ارمانوسة : تصحبك السلامةُ يا دومنتيانوس . اتراكَ تذكرُني هناك على ضِفَاف البوسفُور ام سَرعان ما تَنْسَاني ؟

دومنتيانوس : مُحالٌ ان انساك يا ارمانوسة . سيظل قلبي خافِقاً بذكراك إلى أن اموت .

ارمانوسة : احقاً يا دومنتيانوس ؟

دومنتيانوس : وحياةِ السيد المسيح يا ارمانوسة .

ارمانوسة : يكفيني هذا زَاداً منك يعزّيني في قلب

الديْر عما زَوى عني من اباطيل الحيـــاة
(تمد يدها إليه) وداعاً يا دومنتيانوس .

دومنتيانوس : (يقبل يدها) وداعاً يا ارمانوسة (يخرج) .

ارمانوسة : (بين الرضا والأسَى) ويْحَ هذا العـاشق الرومي ! مـــا كنت احسَبُه يحبني كلّ هذا الحب !

(يدخل المقوقس وهيلانة) .

المقوقس : ما هذا الذي صنعْتِ يا ارمانوسة ؟

ارمانوسة : سمعتما حديثَنا ؟

هيلانة : نعم . كيف اعتزَمْت دخولَ الدير دون ان تُخبِرِينا بذلك من قبل ؟

ارمانوسة : أليس لي ان اتصرَّفَ في أمري كما أريد ؟

هيلانة : لكنّ دخولَ الدير يا بنيتي أمرٌ عظيم .

ارمانوسة : أهو اعظمُ يا خـــالة من دخول ابنكِ في الدين الجديد ؟

هيلانة : كلاهما عندي عظيمٌ . هو خرج من دينـــه

وأنت تريدين أن تخرُجِي من دنياك .

المقوقس : احقاً يا ارمانوسة اعتزمت دخول الدير ؟

ارمانوسة : (باسمة) يُخيّـل إليّ يا خالي انك ادركت قصـدي .

هيلانة : ماذا تعنين ؟

ارمانوسة : اطمئني يا خالة فإني لن أدخل الدير أبداً . وإنما أردت أن اصرفَ هـذا الروميَّ عني واحملَـه على الرحيل وَشيكاً إلى بلده .

هيلانة : احسنت يا بنيتي فيما فعلتِ . من يدري لعل شطا يعود غداً إليكِ وإلى دينـِك .

ارمانوسة : (في حدة) كلا لن اقبلَ شطا أبداً ولو عـاد إلى دينِـه !

هيلانة : غداً يسترضيك فيزول هذا السَّخَـط عنك .

ارمانوسة : كلا كلا لن اتزوّجَـه أبداً ولو لم اجـدْ رجلاً غيره !

المقوقس : إذن فعلامَ صرفت عنك دومنتيانوس ؟

ارمانوسة : لأنه ليس الزوج الذي ارضاه .

المقوقس : عـــلامَ إذن ارسلت في طلبـه ؟ هلاّ تركته وشأنه ؟

ارمانوسة : ان له فضلاً علينا اردْتُ أن اجزيَـه عليه.

المقوقس : افهذا هو الجزاءُ الذي يستحق ؟

ارمانوسة : نعم . لقد رأيتُ من الخير لـه ألا اتزوج من غيره وهو بَيْـن ظهْرَانَيْنا حتى يرحلَ إلى بلده .

المقوقس : لو تركته وشأنَـه لرحلَ في موعده .

ارمانوسة : لكنني أريد يا خالي أن أعجِّلَ بالزواج .

المقوقس : أليس عليك أن تحسني اختيـــارَ الزوج الذي ترضِينَـه ؟

ارمانوسة : اني قد اخترتُـه يا خالي العزيز .

هيلانة : هو شطا ابن خالتك لا ريب .

ارمانوسة : (ثـــائرة) كلا كلا .. ليس شطا . ليس شطا . ليس شطا .

المقوقس : فمَـن يكون يا ارمانوسة ؟

ارمانوسة : ستراه عما قليل .

المقوقس : أين ؟

ارمانوسة : هنا في البيت . لقد أرسلتُ في طلبه .

المقوقس : من يكون ؟

ارمانوسة : يونس .

المقوقس : يونس من ؟

ارمانوسة : يونس بن مرقص .

المقوقس : هذا العربي المسلم ؟

ارمانوسة : نعم .

هيلانة : لا حق لك . كيف تقبلينه وهو مُسلم ؟

ارمانوسة : لآمرنّه ان يعودَ إلى نَصْرَانِيّته .

هيلانة : أو تظنين انه يقبل ؟

ارمانوسة : ان شـــاء أن يتزوّجني . وي ! ينبغي أن اتجمّـل واتكحّـل !!

(تخرج في خفة الغزال) .

هيلانة : لقد دارَ اليوم رأسي يا قِيرِس . بربّكِ اشهدْتِ مثلَ هذا قط ؟

المقوقس : دعيها يا هيلانة تفعلْ ما تريد .

هيلانة : كلُّ هذا من شطا . حسْبي اللهُ منك يا شطا . حسبي الله منك .

(يدخل فرتون) .

فرتون : أين مولاتي ارمانوسة ؟

هيلانة : ماذا تريد منها ؟

فرتون : السيد يونس الذي ارسلْتنِي في طلبه .

هيلانة : ماله ؟

فرتون : جِئتُ به معي .

ارمانوسة : (تدخل في كامل زينتها) دعه يدخل يا فرتون .

(ينسحب المقوقس وهيلانة) .

ارمانوسة : (تدعو مبتهلة) يا رب . أضْفِ على جَمالي جمالاً من عندك .

(يدخل يونس) .

يونس : سلامٌ عليك يا ارمانوسة !

ارمانوسة : مرحباً بك يا يونس . اجلس .

يونس : أرسلتُم في طلبي ؟

ارمانوسة : نعم الحمدُ لله إذ وجدْنَاكَ .

يونس : أيْنَما تطلبوني تجدُوني .

ارمانوسة : لقد خشيتُ أن تكون ذهبتَ في جيش تنّيس .

يونس : وودت والله لو كنت فيهم .

ارمانوسة : فما منعك ؟

يونس : استبقاني الأميرُ هنا في المدينة .

ارمانوسة : هل ساءَك ذلك ؟

يونس : في أوّلِ الأمر .

ارمانوسة : والآن ؟

يونس : ادركتُ ان قد خير لي في المُقام .

ارمانوسة : اتذكر يا يونس إذ التقَيْنا أول مرة ؟

يونس : نعم ، عند البِطْريق صفرونيوس ببيت المقدس عند الضُّحَى في اليوم الثاني عشر من شهر ديسمبر سنة ٦٣٨ .

ارمانوسة : انك لتذكرهُ بتفاصيله .

يونس : ذاك يوم لا يُنْسى أبداً يا ارمانوسه .

ارمانوسة : ودعوتني يومئذ يودوقيا .

يونس : كان اجملَ اسمٍ عندي قبل أن اعرفَ اسمَك!

ارمانوسة : احقاً انها بَدّلَتْ دينَها من أجلِكَ ؟

يونس : نعم .. اعلَنَتْ اسلامَها وهي تلفِظُ النفَسَ الأخيرَ .

ارمانوسة : يا لها من مُحِبّة مخلصة . هكذا يكون الحبُّ . وأين ذلك الصليبُ الذي اهديْتَهُ إليك يا يونس .

يونس : محفوظٌ عندي يا ارمانوسة .

ارمانوسة : أين ؟

يونس : هنا دائماً في صَدْرِي !

ارمانوسة : تحملُه وأنت مُسْلِم ؟

يونس : احمله من أجلك يا ارمانوسة !

ارمانوسة : اتريد أن تَزْعُمَ انك تحبّني ؟

يونس : واضياع عُمراه ! اتسمّين ذلك زَعْماً يا ارمانوسة .

ارمانوسة : ان احداً لم يدْرِ عن حبك هذا شيئاً .

يونس : بلى يا ارمانوسة . سَلي عَمْراً بن العاص . سلي رومانوس . سلي وردان . سلي أبا رافع . سلي الناس جميعاً يخبروك انني يتيم بحبك واني ما جئت معهم إلى مصرَ إلا من أجلك .

ارمانوسة : لكنك لم تكاشفني بشيء .

يونس : كيف وأنت مسمّاةٌ على ابن خالتِكِ ؟

ارمانوسة : قد انقطع ما بيني وبين ابن خالتي اليوم .

يونس : كيف ؟

ارمانوسة : اصبحتُ في حِلٍّ من خِطبته .

يونس : احقاً ما تقولين ؟

ارمانوسة : من أجل ذلك دعوتُكَ .

يونس : أوَتَقبلينني ان طلَبْتُك ؟

ارمانوسة : نعم ان اجبتَني إلى ما اطلبُ منك .

يونس : اطلبي ما تشائين يا ارمانوسة . اطلبي حياتي اقدمْها بين يديك .

ارمانوسة : ان كنت تريدُني حقاً فارجِعْ إلى دينكِ القديم . ارجع إلى المَسيحية .

يونس : حَنانَيْكِ يا ارمانوسة . اطلبي كلَّ شيء مني إلا هذا

ارمانوسة : كلا لا اطلبُ منك إلا هذا .

يونس : وتكونين لي يا ارمانوسة ؟

ارمانوسة : وأكون لك .

يونس : وحق هذا الصليب ؟

ارمانوسة : وحق هذا الصليب ؟

يونس : كلُّ ما تطلبُه ارمانوسة هيّن وان عزَّ . خُذي مني ديني ودنياي ان شئت فأنت ديني ودنياي .

ارمانوسة : بوركت يا يونس . انت الزوجُ الكريمُ الذي اختارَتْه لي السماء (تنادي) تعال يا خال . ادخل يا خال (يدخل المقوقس) .

ارمانوسة : هذا يونس يا خالي قد قبلَ أن يَتَنَصّر من جديد ليتزوجني .

المقوقس : أجل قد سمِعْتُ حديثَكما من خلف هذا الباب . ولكن هل فكرتما أين تعيشان بعد ذلك ؟

ارمانوسة : أين نعيش ؟ هنا في الاسكندرية .

المقوقس : أنت يحقُّ لك ذلك ولكن لا يحقُّ لِيونُسَ .

ارمانوسة : لماذا ؟

المقوقس : لأن المرتدَّ عن الاسلام لا يَحِقُّ له أن يعيشَ

في بلد يُظِلُّه سلطانُ الاسلام أولا تعلم ذلك يا يونس ؟

يونس : بلى يا سيدي البطريق .

ارمانوسة : فكيف كتَمْتَه عني ؟

يونس : في وُسْعِنا حينئذ أن نرحَلَ إلى بلد لا يظلُّه حكمُ المسلمين .

ارمانوسة : أين ؟

يونس : في ارض الروم .

ارمانوسة : كلا لا أريد بمصرَ بَدِيلاً . لا اعيشُ إلا في مصرَ . خبّرني يا يونس أليس لك أن تتزوَّجَني وأنت على دينك وأنا على ديني ؟

يونس : بلى يا ارمانوسة .

ارمانوسة : فابْقَ إذن على دينك .

يونس : ارمانوسة ! لا اكادُ أُصدِّقُ ما اسمعُ ! اني إذن لسعيدٌ . سعيد !!

المشهد التاسع

في بيت عمر بالمدينة

يُرى عمر جالساً وعنده معاوية بن حُدَيْج وقد وضع امامهما طعام يأكلان منه .

عمر : (ينادي) عاتكة !

عاتكة : (صوتها) نعم يا أمير المؤمنين .

عمر : أليس عندك غيرُ الخبز والزيت لبَشِيرِ فتْحِ الاسكندرية ؟

عاتكة : وطبقٌ من التمر ، ستحمله الجارية إليك .

عمر : وليس غير ذلك ؟

عاتكة : لو اردْتَ له خيراً ممّا عندك لوجَّهته إلى دار الضيافة .

(تدخل الجارية تحمل طبقاً فتضعه بينهما على الارض وتخرج) .

عمر : صدقت أم عياض . ليتني فعلتُ يا معاوية . إذن لوجدت هناك خيراً من هذا وافضل .

معاوية : كلا يا أميرَ المؤمنين. هذا والله افضلُ عندي واحبُّ إليّ إلا ان تواكلني انت هناك .

عمر : ويحك يا ابن حُديج لا أواكلك إلا في بيتي.

معاوية : إذن فمَا هُنا خيرٌ لي مما هناك .

عمر : بوركت يا ابن حُديجَ . اني استأثرت بك لاستوضِحَكَ بعضَ ما ألقيتَه على الناس في خُطْبَتِك . كُلْ أولاً يا معاوية .

معاوية : الحمد لله قد اكلت يا امير المؤمنين .

عمر : كل من التَّمر (ينادي) عاتكة !

عاتكة : (تظهر على الباب) نعم يا امير المؤمنين .

عمر : هل شَهِدْتِ الصلاةَ جامعةَ ؟

عاتكة : نعم .

عمر : وسمعْتِ الخطبةَ التي ألقاها بشير الفتح ؟

عاتكة : نعم .

عمر : ولم تَعْجَبِي ممّا قال في وصْفِ الاسكندرية ؟

عاتكة : بلى . عَجِبت كما عَجِب الناس .

عمر : ولم يخامِرْك شكٌّ ؟

عاتكة : يا امير المؤمنين قد سمعنا كثيراً من العجائب في تلك البلاد حتى ألِفْنا سماعها بل رأينا منها ما لم يكن يخطُرُ لنا على بالٍ .

عمر : لكني اظنكَ يا معاوية قد غاليْتَ ولم تقتَصِدْ .

معاوية : لا والله يا امير المؤمنين ما غاليت في شيء بل كان كل ما وصفت دون بعضِ ما شهدت.

عمر : كنت تقول اربعمائة ملهى للملوك .

معاوية : أجل يا امير المؤمنين وقد رأيتها بعيني هاتين كأنها مما بنته الجن .

عمر : واربعمائة بَنِيّة بأربعمائة حمام ؟

معاوية : يا امير المؤمنين ما إخالُني قلت ذلك .

عمر : فلماذا قلت ؟

معاوية : اربعة آلاف بنية بأربعة آلاف حمام .

عمر : كل حمّام منها يسَعُ ألفَ مَجْلِس، كل مجلس منها يَسَع جماعةَ نَفَرٍ ؟

معاوية : لا يا أمير المؤمنين إنما تلك الحمّاماتُ الكبرى وعددُها اثنا عشر فقط .

عمر : واربعون ألفَ يهودي عليهم الجِزْية ؟

معاوية : نعم .

عمر : واثنا عشر ألفَ بقّال يبيعون البقلَ الأخضرَ ؟

معاوية : نعم .

عمر : كم يكون عددُ سكانِها إذن ؟

معاوية : لا يعلم عددَهم إلا اللهُ يا أمير المؤمنين .

عمر : وليس لها على ذلك غيرُ طريقين اثنين ؟

معاوية : يا أمير المؤمنين ألم أقل لك اني قصَرتُ في الوصفِ ؟

عمر : كيف ؟

معاوية : في الاسكندرية طرُقٌ كثيرة يا أمير المؤمنين يُخْطِئُها العدُّ وإنما قصَرْتُ وصفي على طريقيْها الاعظمين اللذين يشقّان المدينة من غربها إلى شرقها ومن شمالها إلى جنوبها وتكتنِفُهما على طولهما من الجانبين عمدٌ مرفوعة من المَرْمَرْ الناصع يكاد بريقها يُغْشِي الأبصارَ ثم يلتقيان في رحْبة فيْحاء قد غرست فيها الحدائقُ الغناءُ وتطاولت من حولها القصورُ الشماء فإذا انتهى بك احدُ الطريقين إلى البحر رأيت عجَباً تحارُ فيه الألبابُ ، قصوراً شامخات على رَبَوات في البحر ناتِئات كأنهن الجوارِ المنشآت !

عمر : هيه يا اخا كندة . وتلك العجيبة التي تهدي السفن ؟

معاوية : تلك منارةٌ علوّها ثلثمائة ذراع تقوم على صخرةٍ في البحر وتذهب في الجو صعداً على اربعة أركان ثم على ثمانية، ثم مستديرة، ثم مكشوفة في اعلاها، توقد بها في الليل مشاعل تهدي السفن في البحر وبها مرآةٌ عظيمة تترائى فيها السفن القادمة من بعيد قبل أن يدركها البصر من قريب.

عمر : وتلك التي يخزن فيها الماءُ العذب على مدار العام ؟

معاوية : تلك الصهاريج يا أمير المؤمنين تحت الأرض طبقات بعضها فوق بعض .

عمر : كُلْ يا معاوية . قد شغلتك بالحديث عن طعامك .

معاوية : بل اكتفيت يا أمير المؤمنين .

(يصفق عمر فتدخل الجارية لترفع الخوان).

عمر : هذه صاحبةُ الفضل علينا يا معاويةُ إذ نبّهتنا إليك . ويحك يا اخا كندة كيف تحمل بُشرى الفتح فتح الاسكندرية فتقعد على باب المسجد ولا تبادر إلى ابلاغي.

معاوية : يا أمير المؤمنين اني اشفقت ان تكونَ قائلاً في وقت الظهيرة فرأيت ان انتظرَ حتى تصحوَ من قيلولتك .

عمر : ظننتني نائماً يا معاوية ؟

معاوية : نعم .

عمر : بئسما ظننت . لئن نمت النهارَ لأضيّعنّ الرعية ولئن نمت الليلَ لأضيّعن نفسي فكيف بالنوم يا معاوية مع هذين ؟

المشهد العاشر

في بيت المقوقس باسكندرية
يُرى المقوقس على فراشه وقد نهكته العلة واشفى على الموت وعنده هيلانة أخته وارمانوسة .

المقوقس : كنيسة ابي يحنّس ! أريد أن أُدفنَ في كنيسة أبي يُحنّس !

ارمانوسة : سوف تدفنُ هناك يا خالي.. بعد عمر طويل.

المقوقس : هيهات يا ارمانوسة . ما بقي من العمر كثيرٌ ولا قليل .

هيلانة : لا حق لك أن تروّعنا يا قيرس انك يا أخي بخير .

ارمانوسة : وستزولُ عنك هذه الوعكةُ كما زالتْ الوعكة السابقة .

المقوقس : هيهات . هذه ليست كتلك . هذه عِلّةُ الموت . آه من لي بأن ادفنَ في كنيسة أبي يحنّس ! لن اطمئنَ إلا إذا ضمِن لي عمروُ بن العاص ذلك . أنا لا استطيع الذهابَ إليه . عليه هو ان يَجيءَ إليّ .

ارمانوسة : ها هو ذا يونس قد جاء .

المقوقس : ومعه الأميرُ العربي ؟

ارمانوسة : لا بل جاء وحده .

المقوقس : اواه . لقد نَسِيَني عمْرُو !

(يدخل يونس) .

المقوقس : يونس . ماذا وراءك يا يونس ؟

يونس : كل خير يا سيدي البطريق . ان عَمْراً آتٍ إليك اليوم ليعودَك .

المقوقس : ألم تخبره اني دَنِفٌ؟ واني أوشِكُ أن اموت؟

يونس : بلى .

المقوقس : فلماذا لم يأتِ معك ؟

يونس : وجدته مشغولاً يجهّزُ الجيش إلى برقة .

المقوقس : واضَيْعتَاه ! ألا يُدركَني أولاً ثم يُرسِل جيشه إلى حيث يشاء ؟

يونس : سيفرُغ يا سيدي وشيكاً ويحضر إليك .

المقوقس : هو الذي قال لك ذلك ؟

يونس : نعم وارسَل معي الهاموكَ .

الجميع : الهاموك !

المقوقس : اكان عنده الهاموك ؟

يونس : نعم .

المقوقس : ماذا كان يصنَعُ عنده ؟ كان يشكُونا إليه ؟

يونس : لا ادري ولكنّ عمْراً قال لي خذْه معك يا يونس وأوْصِهِم أن يَرْفِقُوا به .

ارمانوسة : ما كان ينبغي لكم أن تطردُوه إذْ جاءكم امْس .

هيلانة : طردناه أمس ولنطردَنّه اليوم . لن نقبلَه أبداً . أيريد عمروٌ ان يفرضَه علينا فرضاً؟

يونس : كلا إنما رَجاءٌ تقدّمَ به إليكم واصلاحٌ بين ذَوِي الارحام .

المقوقس : أين هو الآن ؟

يونس : خارج الباب ينتظرُ إذْنكَم .

ارمانوسة : دعوه يدخل .. لا يصح ان ترفُضُوا شفاعةَ الأمير .

هيلانة : اسكتي يا ارمانوسة . لا شانَ لك .

ارمانوسة : انه بعدُ يا خالة لزوجُك ووالدُ ابنكِ الشهيد .

هيلانة : بل هو قاتِلُه !

المقوقس : هيلانة، لا يَسَعُنا إلا أن نقبل شفاعةَ عمرو .

هيلانة : وما شانُ عمرو بهذا الخائِن ؟

المقوقس : قد شفَعَ له وكَفَى .

هيلانة : بل تريدُ أن تجيبَ عَمْراً إلى طلبه ليجيبَك عمرو إلى طلبك .

المقوقس : أوه . لا ترهِقُوني بجدالِكم قل له يدخل يا يونس .

(يخرج يونس ثم يعود ومعه الهاموك) .

الهاموك : (يدنو من المقوقس) كيف أنت يا أخي البطريق ؟

المقوقس : كما ترى . أجئت أنت اليوم لتُجهِزَ عليّ ؟

الهاموك : مَعَاذ الله . نفسي فداؤُك يا قيرس .

المقوقس : آه . ما ارخَصَ الكلامَ عندك !

الهاموك : (يلتفت إلى زوجته) هيلانة !

هيلانة : لا تكلِّمُني ! لا أريد كلامك .

ارمانوسة : لا حقَّ لك يا خالَة . اسمعي أولاً ماذا يريد أن يقول .

الهاموك : أنا والله لا أدري لماذا أنتم غاضِبُون عليّ .

هيلانة : لا تدري يا قَاتلُ ! لا تدري يا مجرمُ ! أنت قتلْتَ شطا . قتلتَ ابني الوحيدِ .

الهاموك : من ذا روى لك هذه الفِرْيَة ؟

هيلانة : أي فِرية ؟ هذه مصداقُ الرؤيا التي رأيتُها بدمياط .

الهاموك : الرؤيا شيء والواقعُ شيء آخر .

هيلانة : أجل . ليست الشطر الآخر من الرؤيا هو الذي تحقق . ليته هو الذي قتلَكَ ولم تقتلْه أنت .

الهاموك : هيلانة يا عزيزتي ان رؤياك لم يتحقق منها شيء .

هيلانة : بلى قد تحقَّق شطرٌ منها بقتْلك لابنك .

الهاموك : لكن الذي قتله هو أبو طور .

هيلانة : بل أنت .

الهاموك : سَلِي من حضر الواقعة من المقاتلين يخبروك

انه بارزَ أباطور فاختلَفَا ضربَتَـيْن فسقطا صريعين .

هيلانة : انت إذن أبو طور !

الهاموك : هيلانة ! أنا زوجُك الهاموك يا هيلانة !

هيلانة : كلا لو كنت زَوْجي ما قتلت ابني .

الهاموك : أخي قيرس . ألا تكلم اختَك ؟ ألا تقنعها بأن الرؤيا التي رأتهـا في دمياط كانت باطِلَةً .

المقوقس : ليس الامرُ أمرَ رؤيا يا هاموك . انك حقاً أنت الذي دفعت شطا إلى ذلك المَصِير . لولا أنت لما اسلَمَ ولما لَقِي مصرَعَـه في تنّيس .

الهاموك : ماذا تقول ؟ أنا سبب اسلامـه ومصرعه ؟

المقوقس : نعم انت دفعته إلى ذلك دفعـاً بغدْرِك وخيانتك . جعلتَه ينُوءُ بعبءِ الذنبِ الذي جنَيْتَه فلم يجدْ وسيلة للتكفير غيرَ الاسلام والموت في سبيل الاسلام .

الهاموك : والله ما قصدْتُ ذلك ولا أردْتُه (يبكي) صدقوني . ما قصدت ذلك ولا أردته .

المقوقس : آه . لقد قتلتموني بجدَالِكم . ويلكم أبقُوا على حُشَاشَتي حتى يَجِيءَ عمرو . أريد أن أكلّمه في أمرٍ هامّ يتعلق بموتي وآخرتي . اخرُجُوا من عندي .

ارمانوسة : (تومىء لهم) هيا بنا لندع خالي وحده ليستريحَ .

المقوقس : ابقَ أنت عندي يا يونس .

(يخرجون ما عدا يونس) .

المقوقس : (يتنهد) آه حتى عنـد الموت يلقُون هُمُومَهم عليّ !

يونس : يا سيدي البطريق . انهم لا يعتقدُون انك ستَمُوت .

المقوقس : بل لا يريدون ان يعتَرِفُوا بهذه الحقيقة .

يونس : من فُرْط حبِّهم لك .

المقوقس : كلا بل لئلا يُطلبَ منهم ان يقومُوا لي برعايةٍ اكبرَ .

يونس : لماذا تُسيءُ الظن بأهلك وأحبابك ؟

المقوقس : لأن الحياةَ علّمتْني ان سُوءَ الظن أجدرُ بالرجل اللّبيب .

يونس : (ينهض) سيدي هذا عمرو بن العاص قد اقبل!

المقوقس : الحمد لله . الحمد لله . دعه يدخل .

(يخرج يونس ثم يعود ومعه عمرو بن العاص)

المقوقس : الحمد لله يا عمروُ إذْ جئتَ قبل ان اموت .

عمرو : لا بأسَ عليك يا عظيمَ القبط .

المقوقس : عظيم القبط !!

عمرو : أليس هو اللقبَ الذي تحبه وتؤثِره ؟

المقوقس : وما نفعُ ذلك لي إذا بَقِيَ القبط يعتبرونني عدوَّهم حتى اليوم ؟

عمرو : هوّن عليك يا مقوقس . غداً يعلَمُون جميعاً انك احسَنْتَ إليهم اكثرَ مما اسأتَ .

المقوقس : غداً ؟ عندما أصيرُ تراباً يا عمرو ؟

عمرو : بل قبل ذلك .

المقوقس : هيهات . إلا أن تُعينَني على ذلك يا عمرو .

عمرو : كيف ؟ اقترِحْ ما تريد .

المقوقس : أعلِنْ في البلاد ان كلَّ كنيسةٍ كانت يعقوبيّةٍ في الأصل تردُّ إلى اليعاقبة .

عمرو : ما هذا يا مقوقس ؟ إنا إذن نُصادِرُ كنائسَ الملكانيين ونُعطيها لليعاقبة .

المقوقس : وأي بأسٍ في ذلك ؟ لتكسبَنَّ ان فعلت قلوبَ عامّةِ القبط .

عمرو : والملكانيون منهم ؟

المقوقس : هؤلاء قِلّة .

عمرو : أفي الحق يا مقوقس أن تُظلم القِلةُ من أجل الكثرةَ ؟

المقوقس : انك لن تَظلِمَ احداً من اجل احدٍ ولكنك سترُدَّ الحقَّ إلى أصحابِه .

عمرو : كلا يا مقوقس لا سبيلَ إلى ذلك فقد اعطَيْنا الناسَ عَهْداً ألا تُؤْخَذَ كنائسَهم ولا تهدَم ولا يتعرّضَ لهم في شؤون دينهم رَضي بذلك من رَضي وسخِط من سخِط.

المقوقس : واكَبِدي منك يا عمرو. ما اطلبُ منك من طَلَب الا اعتذرْتَ منه واحسنت الاعتذارَ.

عمرو : ما كنت لِأُحْسنُ الاعتذارَ يا مقوقس لو احسنْتَ أنت الطلبَ.

المقوقس : لولا ثِقَتي بك يا عمرو لقلتُ انك تطيع في أمري رأي البطريق بنيامين.

عمرو : وما رأيُ البطريق بنيامين؟

المقوقس : ان احْيَا ملعوناً من القبط وأموتَ ملعوناً منهم.

عمرو : رويدك يا مقوقس فان بنيامين لا يحملُ لك الا الوُدَّ.

المقوقس : كلا يا عمرو لو شاء بنيامين لرفع عني حِقْدَ القبط في يوم واحد. ألا ترى كيف امتَنَع الى اليوم عن الرجوع الى مَنْصِبه بعد ما زال سلطانُ الروم ورَحَلت جيوشُهم عن البلاد واستقرت فيها الأمورُ؟

عمرو : انه آلى على نفسه لا يعودُ الى منصبه حتى يردَّ الى كنائس اليعاقبة كلَّ ما نُقِلَ منها الى الكنائس الملكانية من تُحف ونفائس.

المقوقس : ألم تكلّفْ القائدَ سنوتيوس بتنفيذِ هذه المُهِمّة؟

عمرو : بلى.

المقوقس : أفلم يخبرك سنوتيوس ان ذلك يستغرِقُ مدَّةً طويلة؟

عمرو : بلى.

المقوقس : فلو كان بنيامين صافِيَ النية لرجع الى منصبه من اليوم، وانما أخّر رجوعه مُحْتَجّاً

بتلك التحف والنفائس ليظلَّ سَخَطُ القبط على قيصر مُشْتَعِلاً وعليَّ أنا بالتَّبع .

عمرو : هوّن عليك يا مقوقس . ماذا يعنيك اليوم ان يرضى القبطُ عنك أو يسْخَطوا عليك ؟

المقوقس : اني كما تعلم قد عدتُ الى المذهبِ اليعقوبي الذي كان يَدِين به آبائي واجدادِي .

عمرو : ذلك خير .

المقوقس : وأُريد اذا مِتُّ ان أُدفنَ في كنيسةٍ يعقوبية .

عمرو : وَصِيّةُ الميت حقٌّ له .

المقوقس : لكن القبطَ لن يسمَحُوا لي بذلك .

عمرو : ما أرى ان من حقهم أن يمنعُوك .

المقوقس : انهم مانِعِيّ لا محالَةَ الا اذا ضَمِنْت لي انت ذلك يا عمْروُ .

عمرو : في أي كنيسة تريد أن تُدْفَن ؟

المقوقس : في كنيسة أبي يحنّس .

عمرو : كنيسة الجِسْر ؟

المقوقس : نعم .

عمرو : (يطرق قليلاً كانه يفكّرُ) .

المقوقس : (محتداً) اياك أن تعتذِرَ عن هذه أو تَتَنصّلَ . اذن لأكونَنّ أشقى الناسِ بمعرِفَتِكَ .

عمرو : الناس أحرارٌ في دينهم .

المقوقس : ماذا تَعْنِي ؟

عمرو : وانت منهم لك ما لهم وعليك ما عليهم .

المقوقس : افْصِحْ بالله عليك . أضَمِنْتَ لي ذلك أم لا ؟

عمرو : نعم لك علينا أن تُدْفَن حيثُما تريد .

المقوقس : في كنيسة أبي يحنّس .

عمرو : في كنيسة أبي يحنّس .

المقوقس : الحمد لله . الآن اطمأنّ قلبي يا عمرو .

عمرو : خبرني إذن ماذا فعل صهرُك الهاموك ؟

المقوقس : أوَقَد شكانا هو إليك ؟

عمرو : اللهم لا بل استَشْفَع .

المقوقس : لولا انك أوصَيتنا به لما اذنا له أن يدخل لنا بيتاً أو يرى لنا وجهاً .

عمرو : علام كلُّ هذه القطيعة يا مقوقس ؟

المقوقس : ألا تدري يا عمرو ماذا فعل ؟ لقد خان قضِيّتَنا وتواطأ مع أعدائنا ولم يَرْعَ لي عهداً ولا قرابَةً حتى لقد بلغ من غَدْرِه ونَذالَتِه ان اتّفق مع أبي طور على اختِطافي أنا من دمياط وإرْسالي أسيراً إلى ابيفانيا ابنة قيصر لتسومَني من سُوءِ العذاب ما تريد .

عمرو : لكن الله قد احبَطَ كيدَهم وأذهب رِيحَهم وجعل لشَطَا وللمؤمنين معه الدَبْرَةَ عليهم وفتحَ تنّيس على أيديهم فتحاً مبيناً ثم

كُتِبَ لشطا الشهادةُ ليكون مع الصدّيقين والشهداء وحسُنَ أولئك رفيقاً

المقوقس : (يجهش باكياً) أتريد الحقَّ يا عمْروُ ؟ لقد رُزِئْتُ بشطا مرتين مرة حين أسلَمَ ومرة حين قُتِلَ .

عمرو : يغفر اللهُ لك يا مقوقس لو تعلمُ ما اعدَّ اللهُ لشطا من قُرَّةِ أعْيُن لفرِحْتَ له فرْحَتَيْن .

المقوقس : دعنا من شطا يا عمرو فقد مَضَى لسبيله ولكن ما شأنُك بالهاموك هذا الذي نقَضَ العهد وواطأ العدوَّ وخان العشيرةَ والصهر والأهلَ والولَد ، احقاً انك اعدْتَ له ولايةَ دمياط ؟

عمرو : نعم .

المقوقس : جزاءً له على غَدْرِه وخيانته ؟

عمرو : لقد تابَ يا مقوقس !

المقوقس : تاب ؟ أمثل هذا يتوبُ ؟ قسماً لو دُعِيَ إلى

فتنة جديدة له فيها مطمعٌ لكان أولَ من يُجيب .

عمرو : انه اسلمَ يا مقوقس .

المقوقس : (في دهشة) أسلم ؟

عمرو : اجل . أسلَمَ على يَدِ ابنِه الشَّهيد .

المقوقس : قاتله اللهُ . ذلك احْرَى يا عمرو أن تكشِفَ سِرّه وتتّقي شرَّه وتحذَرَ مكرَه وغدره أو تظنه أسلم مُخْلِصاً لله ؟ إنما أراد باسلامه ان تولّيَه دمياط وقد فعلْتَ .

عمرو : ويحك يا مقوقس ان اللهَ لم يأمرنا أن نشُقَّ عن قلوب الناس لنَرَى ما فيها من خير أو شر ، وان الهامو ك لأعرفُ الناسِ بتلك الناحيةِ وأصلحُ من يحْكُمُها ، ونَرْعَى بعدُ قرابَتَه منك ومن شطا الشهيد .

المقوقس : قرابة أبكتْنا الدّمَ وأورثتنا الندمَ !

عمرو : ما يدريك يا مقوقس لعل اللهَ يريك غداً منه ما يسرُّك .

(ينهض لينصرف) لا بأسَ عليك يا عظيمَ القبط . أرجو اللهَ لك الشفاءَ .

المقوقس : بل ارجُهْ لي المغفرةَ يا عمرو .

عمرو : المغفرةَ والشفاءَ (يتوجه نحو الباب ليخرج ويرافقه يونس) .

المقوقس : الوصيةُ يا عمرو !

عمرو : كنيسة أبي يحنّس ؟

المقوقس : نعم .

عمرو : مضمونَة ان شاء الله (يخرج) .

(تدخل هيلانة وارمانوسة ثم يدخل خلفهما الهاموك) .

ارمانوسة : اطمأن قلبُك الآن يا خالُ ؟

المقوقس : أجل . لأُدْفِنَنَّ في كنيسة أبي يحنّس على زعم انوف الكائدين والشامِتِين والحاقدين .

(يدخل الهاموك) .

الهاموك : بعد عمر طويل يـــا أخي البطريق ان شاء الله .

المقوقس : هلمّ يـا هاموك لي حسابٍ عسيرٍ معك . أحقاً انك غيّرتَ دينَك ؟

الهاموك : (بعد تردد) نعم أسلَمْت .

هيلانة : أسلمت ؟ أنت أيضاً أسلمت ؟

المقوقس : ولِمَ كتمت عنا ذلك ؟

الهاموك : لم أشـــأْ أن أزعِجَكم لعلْمِي ان ذلك سيزعجكم .

هيلانة : وتجرُؤ بعدُ ياهذا أن تدعـوَني للّحاقِ بك؟

الهاموك : انت زوجتي يا هيلانة .

هيلانة : كلا ان الدِّينَ قد فرّق بيننا اليوم .

الهاموك : حَنانَيْك يا هيلانة . ان الدين ينبغي أن يجمعَ ولا يفرّقَ .

ارمانوسة : لقد صدقَ عمي الهاموك

هيلانة : كلا بل كَذبَ

الهاموك : لقد اعادُوا لي ولايَة دمياط يا هيلانة

هيلانة : انت الآن والي دمياط كما كنت ؟

الهاموك : نعم عزيزتي فدعينا نعُدْ اليها كما كُنّا .

هيلانة : بعد ان غيّرتَ دينك ؟

الهاموك : لكني ما غيّرتُ حبي ولا اخلاصي لمـــن أحِب .

المقوقس : طَاوِعيه ياهيلانة ولا تُبالي بدينِه الجديد.

هيلانة : كيف يا قيرس ؟

المقوقس : انه غيْرُ مخلصٍ فيه وانما اعتَنَقَه طمعاً في وِلاية دمياط .

هيلانة : اذن فقد باعَ دينَه بالدنيا .

المقوقس : أجـــل .

هيلانة : فكيف تنصحُني يا أخي أن اعودَ اليه ؟ ان

مَن يبيعُ دينَه لا يؤمَنُ ان يبيع أهلَه وذَويه .

الهاموك : سامحَكُم اللهُ ما كنتم لتقولوا هذا القولَ عني لو عرفتم كيف اسلَمْتُ على يدِ ابني شطا وهو يموت .

ارمانوسة : كيف يا عمي الهاموك ؟ باللهِ صِفْ لنا ذلك .

الهاموك : لما دارَتْ الدائِرَةُ علينا في تنّيس وقُتل ابو طور فِيمَن قُتل حَملُوني مع الأسرَى الى بَرِّ دمياط وأنا اتوقَّعُ القتلَ في كل لحظة من أجل غَدْري ونقْضِي للعهد ، واذا رجلٌ من العرب سألني انت الهاموك؟ فهَمَمْتُ ان اقولَ لا لولا يَقِيني انهم سيَهْتَدُون الى معرِفَتي لا محالة،وساقَني الرجل أمامَه وأنا لا اشكُّ انه يسُوقُني للذَّبْح واذا انا بين يدَيْ شطا ابني وهو مُثْخَن بالجراح حتى كدتُ انكرهَ واذاهو الذي أمرهم باحضاري اليه فلما رآني اوما لي

فدَنَوْتُ منه فقال بصوت مُتَقَطِّع اتدْري يا أبي الى أين أنا ذاهِبٌ ؟ قلت : إلى أين ؟ قال: إلى الجَنَّة فهل لك أن تلحَقَ بي؟ قلت كيف ؟ قال أسلِمْ كما أسلمْتُ فلم ادْرِ بماذا أُجِيبُ فلمّا رَأى تردُّدِي لحقَتْه غشْيَةٌ ثم انتبه منها وهو يصيح: كلا لا تخزُونِي في أبي. لا أريد أن يُبَاع ابي في الاسْوَاق ثم التفت الي وقال بصوت رَقِيق : ابتَاهُ الا تحبُّ أن تعودَ الى وِلايَة دمياط في حياتك وتدخلَ الجَنَّة بعدَ مَمَاتك؟اني سأمُوتُ الساعةَ يا ابتاه فدعْني افرَحْ بِهِدَايَتِك قبل ان اموتَ فلم يسَعْني حينئذ الا ان أُعْلِنَ له اسلامي فهَبَّ فَرَحاً فاعتنقَني وأخذ يقبّلُني حتى ضمّخَ وجْهِي وثِيَابي ببعض دَمه الزَّكِيّ وهو يقول : اشْهَدُوا يا قوم هذا الهاموك أبي قد اسلَمَ ثم نَظَر الِيّ وقال أُوصيكَ بامِّي خيراً

وأوصيكَ بخالي المقوقس واوصيكَ بارمانوسة !

ارمانوسة : ثم ماذا يا عمي الهاموك ؟

الهاموك : ثم سكتَ الى الابد .

ارمانوسة : كان اسمي آخرَ كلمةٍ نطقَ بها ؟

الهاموك : آخر كلمة سمعتُها منه ثم تمتمَ بعدها بكلام لم افهمه .

ارمانوسة : (تنشج باكية) واحزناه . واحسرتاه . كلما تذكرتُ انه خرجَ من عندي دون ان اودّعه بكلمة طيبة تمزّقَ قلبي ألماً وندماً . يا ليتني كنت النتُ الحديثَ معه بالدنيا وما فيها . ماذا جَنَى المسكينُ ؟ لقد قال ان الايمانَ دخلَ قلبَه فلم يستطعْ فِراراً منه فكيف ألومه وأعاديه وأنسى كلَّ ما كان بيني وبينه من قَرابة وتحابّ وكفاح في سبيل هذه الأرض الغالية ؟

(يستولي الحزن على الجميع وتترقرق عيونهم بالدمع)

يونس : (مواسياً) جعلتُ فداكِ يا ارمانوسة . يا ليت اني قُتِلتُ أنا مكانَ شطا وانه هو عاشَ لك !

ارمانوسة : بل سلمتَ لي يا زوجي الحبيب. ليس بُكائي على شطا بناقصٍ من حُبّي لك . ولولا اني غاضبتُه بغير حق واسأتُ اليه لما اشتدّ حزني عليه .

(تشبك يديها في يدي يونس)

الهاموك : وأنت يا هيلانة . أما آن لك ان تصفَحي عني وتعودي الي ؟ ان لم تفعَليه من أجلي فمن أجل فقيدنا العزيز .

ارمانوسة : خالتي العزيزة . لقد كنا ننقِمُ على الروم انهم سلبُونا حريةَ العقيدة ، وقد رفع اللهُ عنا ظلم الروم واضطِهادِهم افيضْطَهد

بعضنا بعضاً في عقيدتِه ؟

هيلانة : أخشى يا ارمانوسة أن يكرهني هو على دينه أو يضطهدني في ديني .

الهاموك : معاذ الله يا هيلانة ان أفعلَ هذا أو ذاك .

يونس : ان الاسلامَ يا خالة لا يُبيحُ له ذلك .

هيلانة : لا شأنَ لي بالاسلام ان خوفي من هذا الرجل الغادر .

الهاموك : سامحكِ اللهُ يا هيلانة .

ارمانوسة : ان رابَك منه شيء ففي وُسعِكِ حينئذ ان تهجُريه .

الهاموك : قسماً بالذي تُقسِمين به يا هيلانة لا ترَيْن مني الا ما تحبِّين .

(يبسط اليها أصابع يديه) مثل يونس وارمانوسة !

هيلانة : اشهد يا أخي ما يقولُ (تشبك يديها في يديه) ما بالك يا أخي صامتاً لا تُجيبُ ؟

المقوقس : (في اسى) الحمدُ لله إذْ ليس لي في الدنيا احدٌ !

هيلانة : معاذ الله يا أخي نحن جميعاً لك .

ارمانوسة : أنا يا خالي ابنتُك .

يونس : وأنا ابنُك .

هيلانة : وأنا شقيقتُك .

الهاموك : وأنا زوجُ شقيقتك .

صوت : (من الخارج) يا مقوقس ! يا مقوقس !

يونس : عجباً . هذا صوت عمرو بن العاص .

المقوقس : قل له يدخل يا يونس .

(يخرج يونس)

ارمانوسة : ترى ماذا عادَ به ؟

الهاموك : لعله خيرٌ .

المقوقس : ابقوا مكانكم حتى لا يُطيلَ المكث عندي فاني أريد ان استريحَ .

(يعود يونس ومعه عمرو بن العاص)

المقوقس : لعلك تريد أن تكلمني وحدي يا عمرو .

عمرو : لا بل مكانَكم . انما هو كتابٌ تلقيته الساعة من أمير المؤمنين فأحببت ان اطلعَكم عليه.

الجميع : كتابٌ من أمير المؤمنين !

عمرو : كتابُ تعْزِيَةٍ في ابنكم الشهيد شطا . خذ يا يونس فاقرأه عليهم .

يونس : (يأخذ الرسالة) من عبدالله عمر أمير المؤمنين الى عمرو بن العاص . أما بعد فقد فرِحْت وفَرِحَ المسلمون لفتْح تنّيس ولا سِيّما وقد أتم اللهُ ذلك على يد ذلك الفَتَى المِصْري الصالح الذي اختصر الطريقَ الى الجنّة إذْ اسلم لله وقاتَلَ في سبيل الله حتى لَقِيَ اللهَ راضياً مرضياً بعد ما قَتَل طاغِيةَ البحر ومزّق جيشَه وسفُنَه وهَدَى المسلمين الى الفتح والنصر . ابلِغْ المقوقسَ عظيمَ القِبط وآلِه جميعاً عزاءَنا في شطا وترحُّمِنا عليه وأوْص اصحابَك

أن يكونَ لهم في هذا الشهيدِ المصريِّ اسوةٌ حسنةٌ حتى يحقّقَ اللهُ بهم مِصْداقَ ما اخبر به رسول الله ﷺ إذ قال : إذا فَتَحَ اللهُ عليكم مِصْرَ فاتّخِذُوا فيها جُنْداً كَثِيفاً فذلك الجندُ خيرُ اجنادِ الأرض . فسأله أبو بكر . ولِمَ يا رسول الله؟قال: لأنهم وأزْوَاجهم في رِباطٍ الى يَوْمِ القِيامة .

(تعود ارمانوسة الى تشبيك اصابعها في أصابع يونس وكذلك تفعل هيلانة مع زوجها الهاموك)

المقوقس : (يلحظ ذلك) اعْطِني يدَك يا عمرو . (يضع يده في يد عمر) .

— ستار —

طبع على
مطابع قدموس الجديدة
فرن الشباك – شارع المنتزه
تلفون : ٢٨٦٢١٦
بيروت – لبنان